Rev. Mounir Hakmeh

www.kobayat.org
Electronic Version
Published online by: Elie Abboud
Email: elie@kobayat.org

الأب منير حاكمه

من أجل ولدي

الجزء الثاني

٢٠٠٥

جميع الحقوق محفوظة للمؤلِّف
٣٥١٣٤٣ (٠٦)

الخوري منير حاكمه

كاهن ومعلِّم، من الشمال، من القبيّات. علّم في مدارس الدولة حوالي الأربعين سنة، وعلّم أيضاً التعليم الديني، فكان له أسلوبه الخاص.

عرفتُه أثناء طباعته الجزء الأوّل من كتابه (من أجل ولدي) فأعجبتُ بالأسلوب والمضمون، وتمنّيتُ له دوام العطاء والتوفيق.

بين قصصه، القديمة والجديدة أو المستحدثة، أسلوبه خارج عن التقليد، يمرّ في حوارات سلسة وواقعيّة ومقنعة، تنقلك من المَثَل إلى العبرة بشكل لطيف ومعقول.

إنه أسلوب سهل ورشيق ومشوِّق، بسيط في مواضيعه، هادف في أفكاره.

إنْ بدأتَ، لا ترغب في أن تُنهي، فلا ملل ولا ضجر في تصفّحه. تجد فيه التسلية والتعلّم... الحكاية والمَثَل. ينقلك من صورة إلى صورة، ومن عالم إلى عالم، وصولاً إلى الإنسان، إنسان طغت عليه عادات ونفسيّات، عادات إذا ما استفحلتْ شكلّت خطراً على الأفراد والجماعات.

و"أبونا" منير يشدّ بالقارئ ليكوّن عنده القناعات، ويدفعه إلى أخذ القرار في سبيل إصلاح الذات.

فاريّا ٢٠٠٥/٩/١

د. الخوري سمعان بطيش

المحتوى

التقديم: د. الخوري سمعان بطيش ٣

كلّ مين خلق علق ٧

ما أحلى الفرح! ١٣

القناعة كنز لا يفنى ١٩

لولا العودْ لما استطاع أن يعودْ ٢٧

هزّة وتدْ خرّبت بلدْ ٣٣

طاحونة الثروات ٣٩

جمّل الصلاة بالأعمال ٤٥

حكم الأحكام ٥١

سْطَحّ ٥٧

ألهذا الحدّ؟ ٦٣

طلوع الكرش ولا طلوع القرش ٦٩

أن أعيش حياتي ٧٧

ألتِّين أثمر عنباً ٨٥

لو أنه لم يصبرْ؟ ٩١

قد تضيعُ الفُرص ٩٧

نِعْمَ الدروس ١٠٣

ألطمع ضرّ ما نفع ١١٠

كلّ مين خِلِقْ عِلِقْ

كلّ مينْ خِلقْ عِلِقْ

- أبي ألا تحكي لي حكاية؟

- سوف أحكي لكَ أحلى الحكايات يا حبيبي.

- تفضّلْ، إني مصغٍ تمام الإصغاء.

- ذات يوم، قام أحد الصيّادين بوضع قضبان الدبق بين الأغصان، لتحطّ عليها العصافير، فتعلق أقدامها بها.

عندها يقوم صاحبنا بجمعِ هذه الطيور، والاحتفاظ بها في أقفاصٍ خاصّة، فهو مغرم بلحمها، ذوّاق لطعمها، وبالأخصّ السّمين منها. أما العصافير المزقزقة، فإنّه يبيعها حسب أثمانها وجودة صوتها، فيكون ربحها أوفر، ومردودها عليه أكبر.

عاد الصيّاد بعد قليل إلى بستانه، ليتفقّد أدوات صيده، ويجمع غلّته، فوجد بلبلاً عالقاً على أحد القضبان، وعصفوراً دُوريّاً على قضيب آخر في الجهة المقابلة.

حملهما معاً، ووضعهما في قفص، ريثما يجمع المزيد من العصافير، فتكون له وجبة طعام شهيّة وطيّبة.

زاد الصيّاد من كمية القمح والحَبِّ في القفص، لا عن كرم أخلاقٍ أو شهامة، بل حباً باللّحم السّمين والوزن الفائض، ثم تركهما وانصرف.

ولما أصبحا وحيدَين، قال البلبل لزميله: يا لها من وجبة طعام فاخرة، لم نعرف مثيلاً لها منذ زمن، إنها تكفينا ويفضل منها، فبإمكانك أن تأكل وتشبع، دون إحراجٍ أو إزعاج، ولا لزوم للتفتيش والتّعب، فتعالَ نأكل يا صديقي وننعم بها.

رفض الدوريّ الدعوة قائلاً: كُلْ وحدكَ وتمتّعْ على ذوقِكَ. أما أنا فلستُ بذائقٍ أيّة حبّةٍ من هذا الطعام، مهما كلّفني الأمر.

- إنك تحيّرني يا هذا، فهل لي أن أعرف السبب؟
- ألا تعلم أنَّ هذا القفص يضيّق أنفاسي، ويُقلقُ حياتي، ولا يهدأ لي بال إلا بالتخلّص منه، واستعادة حريّتي؟
- إنك تطلب المستحيل بعدما أُحكِم عليك، وصرتَ تحت رحمة الصيّاد ورهن مشيئته، فاقبعْ (إبقَ) في قفصك هذا، ولا تُتْعِبْ نفسك بما هو غيرُ مستطاع.
- لا تحاول إقناعي، فالاستسلام عندي مرفوض.
- إرحمْ نفسك يا صاحبي، وشاركْني الطعام.
- وهل تظنّ أنّ هذا الطعام هو من أجل سواد عيونك؟
- مهما يكن، فإني أتضوّر جوعاً (أموت جوعاً)، وسوف أملأ جوفي، فكُلْ معي الآن، واتركِ الغد يتدبّر أمره.

– لقد أخذتُ قراري، ولن أشاركَ في طعامٍ يُخفي وراء حبّاته طعم الموت.

توقّفَ الحوار عند هذا الحدّ، بسبب اختلاف وُجهات النّظر. بعدها أكل البلبل حتى الشّبَعْ، وراح يغطّ في نوم عميق. أما الدوري فكان يُجهد نفسه مترفّعاً عن شهوات كثيرة ليحقّق قراراته الخطيرة.

– أبي، ألا يُعرِّض الدوري هكذا نفسه للخطر، وربما للهلاك؟

– بما أنّ الخطر محدقٌ به في كلّ الأحوال، فلماذا قطع الرجاء؟

– وهل استطاع أن يخلّص نفسه؟

– لقد صَمَدَ في صيامه، متغلّباً على الجوع، فَضَعُفَ جِسْمُهُ، وتناقَصَ وزنه حتى أصبح ريشاً على عظم، ولم يعد بينه وبين الموت إلا القليل. حاول البلبل مجدّداً إقناعه بالرجوع عن قراره، فلم ينجح.

وفي هذه الأثناء، كان الدوري يتلمّس قضبان القفص، غير قادر على الوقوف، بسبب التعب والإجهاد. وأثناء تنقّله، أحسّ ببعض الفراغ وراءه، فراح يشدّ ويشدّ على نفسه، محاولاً المرور، إلى أن تمكّن أخيراً من الإفلات ليصبح حراً طليقاً. وهكذا صحَّ توقّعه، وأفاده صومه. وبسرعة ودّع الدوري رفيقه، وغاب يفتّش عن طعام يسدّ به جوعه.

أما البلبل فبقي متعجباً مدهوشاً، وهو يتساءل عن كيفيّة مرور زميله من هذا المكان الضيّق ويقول: ما كان له أن يُفلت لو لم يتخلَّ عن ألذّ شهواته، لقد كلّفه ذلك كثيراً. ليتني أستطيع أن أعمل مثله!

هنا ارتفع صوت الابن قائلاً:

- لقد نجحتْ خطّة الدوري.
- لم يكن نجاحه ليتحقّق بهذه السهولة، لو لم يذقِ الأمرّين في سبيل خلاصه.
- لكنّ تعبه لم يذهب سدىً.
- أرى أنكَ تمدح الدوري وتُشيدُ به.
- هذا أكيد، لأنه تصرَّف تصرُّف الأبطال ولم يعرف التخاذل.
- فاحذر إذاً يا ولدي العادات السيّئة، لأنها تأسرك في أقفاصها وتتحكّم فيك، وتجعل منك أداة شرّ وفساد، وتغيّر حياتك، وربما لن تنجح في الإفلات من قضبانها. ولنفرضْ أنك استطعتَ، فالثمن سيكون غالياً، وسيكلّفك أكثر مما كلّف الدوري بكثير.

وليس من الضرورة بشيء، أنّ كل (مين خِلِقْ عِلِقْ)، لأنّ الإنسان الروحي، الإنسان الشاطر، يعرف كيف يخرج الخروج السليم من قفص هذه الحياة إلى الحياة الأبدية، صامداً أمام الكثير من المغريات والشهوات، مارّاً من الباب الضيّق، الذي لا يُسمَح بعبوره إلاّ للذين تنقّوا من شوائبهم (أغلاطهم) متحمّلين المزيد من الصعوبات والتضحيات في سبيل خلاصهم.

- شكراً لكَ يا أحبّ أب، وأعدك أن أعمل جاهداً لخلاص نفسي. تصبح على خير.

ما أحلى الفرح!

ما أَحْلَى الفَرَح!

- أبي، ألا تحكي لي حكاية؟
- بالطّبع يا بُنيّ، فإليك أجمل حكاية، وهي عن غَرْسِ العنب. لأنه عندما أراد اللّه أن يغرس الكرمة الأولى، قال لخدّامه كي يحفروا حفرةً في الأرض، وأن يذبحوا فيها حَمَلاً، ويطمروا دمه بالتّراب. ثم أمر بذبح أسدٍ في الحفرة ذاتها، وردْمِ بعض التراب فوق دمه. وبعدها تمّ ذبح ثور، ووضْع طبقة من التّراب فوق دمه. وأخيراً طلب اللّه أن يذبحوا خنزيراً. وفي النهاية جاء دور غَرْسِ الكرمة وسقايتها.
- ولماذا يا أبي تمّت الأوامر بذبح هذه الحيوانات، وغرس الكرمة فوق دمائها؟ هذه الكرمة التي سيتلذّذ الإنسان بثمارها وعصيرها.
- إنّ اللّه، لم يفصح مباشرةً عن غايته هذه، لكنّ الإنسان الحكيم الذي يراقب الأمور ويتأملها، قد يتوصّل إلى معرفة هذا القصد، وتأثيره على مخلوقاته.
- وهل استطاع أحدهم التوصّل إلى معرفة هذا اللّغز؟
- بالطّبع، فإنّ العنب الذي تغذّى من الأرض التي غُرس فيها، قد تأثّر بأنواع دمِ الحيوانات المذبوحة في حفرته، واشترك في طباعها.

- وهل هذا يعني أنّ طباع الحيوانات، تستطيع أن تنتقل إلى الإنسان، كما انتقلت إلى الكرمة؟

- قل لي، إذا ما تصرّف واحدنا، بعد شرب الخمرة، كالحيوان، ألا يكون قد أخذ طبع الحيوان؟

- نعم هذا صحيح.

- إليك إذاً هذه الخبرة: لأنّه عندما يجلس النّدماء لشرب الخمرة، (المصنوعة من العنب) تجدهم كالحُملان وداعةً ولطافةً، يتسابقون على إكرام بعضهم البعض، ومجاملةِ الحاضرين، فترى فيهم منتهى التهذيب واللّطف، وقمّة الذوق والاحترام. وترى أيضاً الابتسامات على أفواههم، والفرح ظاهر على وجوههم، فتحلو الأحاديث معهم، وتطول الجلسات، ويستمرّ اللقاء. ويتمادى الجالسون في معاقرةِ (شرب) الخمرة، حتى إذا ما نظرتَ وتفرّستَ في الجمع، لاحظتَ احمراراً في العيون، وتورّداً في الخدود، وتبدّلاً في الحديث، ليصبح كلاماً منمّقاً وواثقاً، يحكي عن بطولات وأمجاد مضتْ، تدعم المتكلّم مخيّلة غنيّة بالصّور واللّوحات، وتظنّ أنَّ مَنْ يخاطبكَ هو ملكٌ من الملوك أو بطلٌ من الأبطال، قادر على مهاجمة فرقةٍ بكاملها، وحسم المعركةِ بأسرع ما يكون. وأيضاً قد تظنّه (دون جوان) العصر، أو طرزان الغابة أو أسد من أسودها.

ويمضي الوقت وتدور النشوة في الرؤوس، فينشلّ التّفكير، ويزول

الحياء، وتتصلّب المواقف، فلا يعود واحدهم يطيق نُصحاً ولا إرشاداً، إذْ انّ الشارب يَعتبرُ النُّصحَ إهانة له وتجريحاً بحقّه، والويل لمن يعكّر صفو الجوّ، أو يخرّب المزاج. فقد تُجرح الكرامات، وتُهان المقامات، وتراه يثور لأقلّ إزعاج، ويسرع إلى القتال، وكأنه ثورٌ طال الزمن على شحذِ قرونه، فيبدأ المشكل، ولا يُعرَفُ كيف ينتهي.

وإذا ما تابع الأخلاّءِ شربهم، وأخذوا منها فوق طاقتهم، قد يفقدون السيطرة على ذواتهم، فيسقط الفرح والهدوء، وتسوءُ التصرّفات، وتتغيّر الطِّباع، ومعها تتلعثم الكلمات، وتتعثّر الخطوات، وتضيع النّظرات. فترى البعض ينامون، والبعض يضحكون ولا يتوقفون، ومنهم الذين يبكون، أو بأعلى صوتهم يشتمون، وغيرهم تراهم يُنشدون، أو الذين يتوجّعون ويتقيأون فيتوسّخون.

- غريب أمر هذه الكرمة يا أبي!

- أما قلتُ لكَ، إنَّ من يراقب ويُمعن النّظر، يعرف كيف يربط بين قصّة غرس العنب، ومراحل السّكر عند الإنسان.

- نعم لقد توضّحت لي هذه المراحل. وإنَّ أفضل مرحلة، هي المرحلة الأولى، حيث يكون الشارب كالحَمَل لطافةً وأخلاقاً وفرحاً.

- جيِّدٌ يا حبيبي أنَّكَ لاحظتَ وعرفتَ أن تميّز بين هذه الحالات. وملاحظتك هذه يؤكّدها اللّه لنا بقوله: "قليلٌ من الخمر يفرّح قلب

الإنسان" ويقول أيضاً : "لا تسكروا" (أي لا تُكثروا من الخمر) لأن فيها الدّعارة.

- شكراً لكَ يا والدي على قصّتكَ هذه. تصبح على خير.

القناعة كنزٌ لا يَفنى

ألقَناعَةُ كَنْزٌ لا يَفْنَى

- أبي، ما هي قصّتكَ لهذا اليوم؟
- قصّتي غريبة عجيبة، فاسمعْ جيداً ما أقول.
- إني على أتمّ استعداد.
- ذات يوم، أراد الأسد أن يزور أبناء رعيّته ويتعرّف على أحوالهم. وما إن سمعَت الحيوانات بالخبر، حتى تشكّل وفدٌ من أصحاب المشاكِل والمحتجّين على أوضاعهم، ليطلبوا مواجهة ملكهم والتحدّث إليه. وافق كبيرهم على الفكرة واختار شجرة كبيرة وارفةَ الظلّ وربض تحتها.

إصطفّ الحاضرون أمامه، وراح يسألهم الواحد تلو الآخر، بدءاً بالأرنب، قال:

- كيف حالك أيها الأرنب؟ وما بك؟
- الحمد للّه يا طويل العمر. كلّ شيء على ما يرام. العشب في ازدياد، والخضار وفيرة، لكنّي أفضّل أن أكون هرّاً.
- لماذا؟
- لأن الهرّ يعيش مطمئناً معزّزاً مكرّماً، يشارك في طعام صاحبه،

يداعب الصغار ويسلّي الكبار، وتراه يغُطّ في نومٍ عميق قرب المدفأة، لا هَمّ ولا غَمّ عليه.

- إلتفت الأسد إلى الهرّ وسأله: وأنت كيف حالك؟

- إني على أحسن ما يكون يا مولاي، لا ينقطع اللّحم من طعامي، أشارك في مائدة أصحابي، إني مرتاح فوق اللزوم، لكنّي أخاف الكلب، فهو أقوى منّي، يهجم عليَّ، ويأكل ما هو أمامي فينغّصُ عيشي، وأنا لا أريد أن أكون تحت رحمة الآخرين، فحبّذا لو أكون كلباً؟

هزّ الأسد رأسه وسأل الكلب: وأنت مما تشكو؟

- الشكر للّه يا سيّدي، إنّ الأمور تجري بسلام، ومع هذا فإنّ الحزن يراودني من حين إلى حين.

- ولماذا الحزن؟

- لأنّ الغزال أسرع منّي، فهو يسابق الريح، شكله ظريف، لحمه لذيذ. فكم أتمنّى لو أكونُ غزالاً.

قَلَبَ الأسد شفته متعجباً ثم كلّم الغزال قال: وأنت ممّا تتضايق؟

- لا شيء ينقصني يا صاحب القوّة. إني أعيش مرتاح البال، أتنقّل بين السهول والجبال، لكن رغم خفّتي وسرعتي، أجدُ أنَّ الحصان يضايقني، فهو يحمل الصيّادين ويطاردني، فتتقطّع أنفاسي، وتتوتّر

أعصابي. إني أحسده على قوّته وأتعجّب من الذين يزيدون في رعايته، لهذا أفضّل أن أكون حصاناً.

أجال الأسد نظره في الحيوانات مستهجناً الأمر وقال:

- وأنت أيها الحصان هل لديك ما تشكوه؟

- يا سيِّد الجميع، إن عيشي هنيّ وطعامي شهيّ، يكثر حولي الخدّام وكأني من بني الإنسان. غير أنّ وسائل النقل الحديثة، عطّلت دوري وقلّلت من أهميّتي، فانحصر عملي في السباقات والمراهنات، وأنا لا أريد أن أكون سبباً في خراب بيوت المراهنين. بينما الثور يناضل بشرف من أجل إطعام الإنسان وتأمين حياته، إنه سند المزارع ومُعيل الفلاحين، فكم أتمنّى لو أكون ثوراً.

تمتم الأسد، ما الذي يحدث بين الحيوانات؟ ثم قال للثور: هاتِ ما عندك.

- يا صاحب السلطان. إني راضٍ عمّا أنا فيه، أتشرّف بعملي، أفتخر بقوّتي، أعيش في راحة بال، وآكل قُوتي (طعامي) بالحلال، لكنّي أفضّل أن أكون تيساً.

- وما به التيس؟

- لا أخفي عنك، إنّ التيس يتمتّع بقرنين قويّين، ورأس عنيد مثلي، لكنّه يعيش عيش الأسياد، يقضي الوقت بالتنزّه والاستجمام، يتنقّل

بين التلال والوديان، يقود القطيع، يتدلّل على بني جنسه، فكيف لا أحسده، أو لا أرغب أن أكون مثله؟

- ما هذا التبدّل الحاصل في الرعيّة؟ ثم سأل التيس: وأنت ما الذي يشغلك؟

- يا صاحب الجلالة. إني ومع كل امتيازاتي، أرى العداوة في عيون الناس، فهم يميلون طبيعياً نحو الخراف ويفضّلونها علينا نحن معشر التيوس والماعز، ويتّهموننا بالقساوة والعناد. فهل تريد أن أمضي حياتي في عداء دائم، لا طعم فيها للحُبّ أو للحنان، لهذا أريد أن أكون خروفاً.

زاد عجب الأسد، وقرّر المضيّ في سماع الجميع، فقال للخروف:

- ما الذي يزعجك أيها الخروف؟

- أيها الملك العظيم، من قال لك ذلك؟ إني شاكرٌ على كلّ شيء، فلي راعٍ صالح، يهتمّ بطعامي وشرابي، يُشرفُ على حمايتي، سلّمته أمري وقدّمت له طاعتي، وها أنا مرتاح البال أعيش عيش الدّلال، قانعٌ في احتياجاتي وراضٍ عن حياتي.

نهض الأسد وتنهّد طويلاً ثم أمر الجميع بالإصغاء وقال: أيّتها الحيوانات، أريدك أن تتشبّهي بالخروف زميلك، حياته من أجمل ما يكون، حياة بسيطة قانعة يسودها الحبّ والأمان. فلماذا هذا الحسد الكريه الذي يصيبك؟ حسدٌ يشوّش عليك حياتك ويشلّ أعمالك، وقد

يؤذيك بل يقتلك، فتخلّصي منه، وعودي إلى ما كنتِ عليه، قانعة راضية بما قُسم لك، كي تَسلمي وتسلم الغابة معك.

- أبي، قال الابن متعجباً: لقد أقلق الحسدُ عيشَ الحيوانات، وشوّش عليها حياتها، فهل من المعقول أن يصل تأثيره إلى حياة الإنسان؟

- يا ولدي، إن كانت الغابة قد شهدت تغييراً في القناعات، وضياعاً للحيوانات، سوف تجد أن الإنسان قد أصبح أكثر عُرضة لهذا الحسد المرير، الذي يُقسّي القلوب، ويُعمي العيون، ويسبّب الكثير من الآلام النفسيّة، والخلافات الاجتماعيّة، والحروب الدموية.

فيا ولدي، إحذر الحسد لأنه مرضٌ عُضال وشرٌّ قتّال موجود مع الإنسان منذ القديم، وسِرُّهُ دفين، وأن صاحبه لا يرتاح إلا على تعاسة الآخرين، فلا تستسلم له كي لا تُصبح أسيره.

- شكراً لكَ يا أحبَّ أبٍ على توجيهاتكَ هذه.

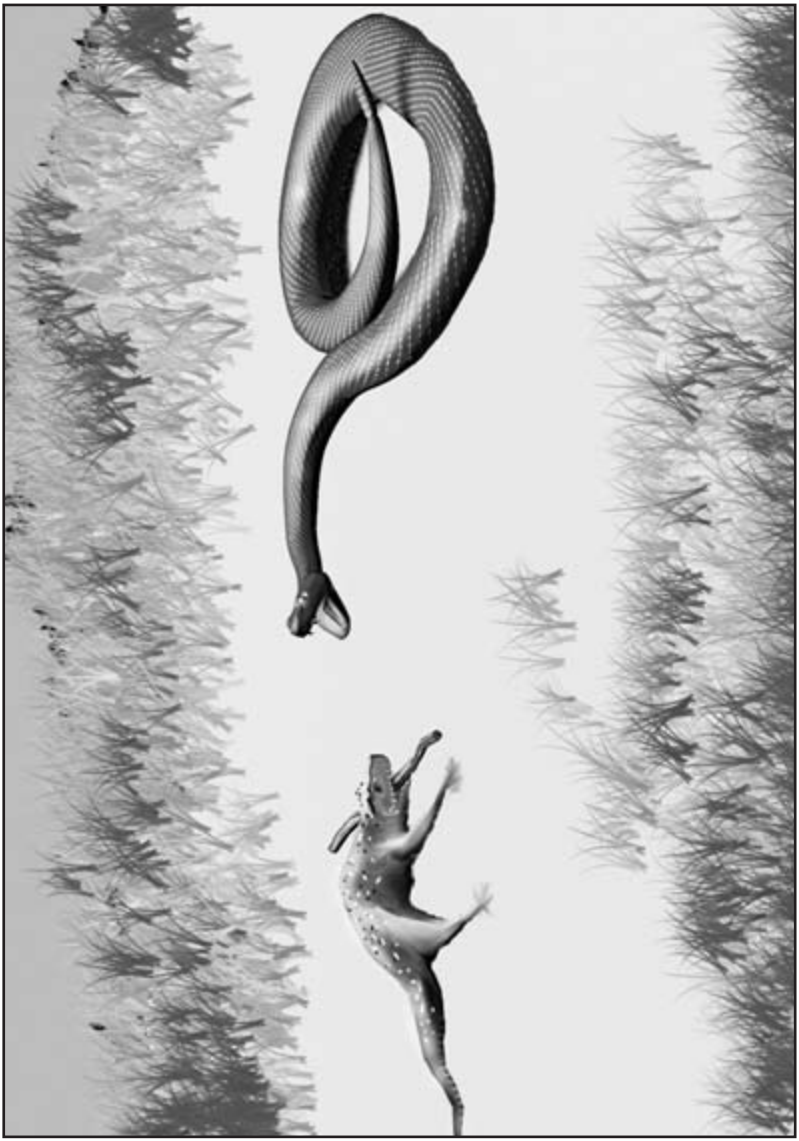

لولا العودُ لما استطاع أن يعودُ

لَوْلا العُودْ لَمَا اسْتَطاعَ أَنْ يَعُودْ

- أبي. هل لي بقصّة؟
- بالطّبع يا ولدي. وقصّة اليوم تقول: لولا العود لما استطاع أن يعود.
- عنوان غريب! هلاّ أوضحتَ لي مضمونه؟
- بكلّ سرور. سوف نتحدّث اليوم عن مشهد للحرذون، مشهد يراه صُدفة بعض الصيّادين أو المزارعين أهل القرى والأرياف، أثناء مرورهم، أو القيام بعملهم في الحقول.
- إنكَ تزيدني حشرية لمعرفة ما حصل لهذا الحيوان الصغير.
- الحرذون أكثر ما يتواجد على الحيطان وبين الصخور، ولا تتزايد حركته إلا أيّام الشمس الساطعة. وقد تراه فوق حجر في الشمس المحرقة، يرفع رأسه ويُنزله، وكأنه يوافق على ما تقدّم من حديثنا بقوله: نعم كلامكم صحيح، لأني أُسرُّ بهذه الحرارة المنعشة، والتي تعوّضني برودة الشتاء وصقيعه.
- بداية موفّقة، وقصّة شيّقة! فأرجو المتابعة.
- ذات يوم، خرج الحرذون من مربعه، قافزاً من صخرة إلى صخرة متمشّياً على الحيطان، إلى أن وصل إلى البستان القريب، فراح

يفتّش عن طعامه ليؤمّن عيشه. وفيما هو ينتقل بهدوء، يراقبُ، يتأمّل ويختار، إذا به كالمجنون يركض يميناً ويساراً، يُسرع وكأنّما حدث له أمرٌ ما.

- وما هو سبب استعجاله هذا؟

- لقد سمع فحيح أفعى تقترب منه، تُريد ابتلاعه، لأنه من أطعمتها المفضّلة، فأسرع يبحث عن عودٍ بحجمِ قلم رصاص، يعضّ على وسطه، ليجابه به خصمه العنيد، ولمّا وجده اطمأنّ.

- لماذا لم يهرب بدل أن يفتّش عن عود؟

- لأن الحيّة أسرع منه، تلحق به، تلتقطه وتبتلعه من الخلف.

- ألا تستطيع ابتلاعه من عند الرأس؟

- بلى، إلا إذا كان في فمه عود، لأنها كلّما حاولت أن تبتلعه عَلِقَ العودُ في فكّها وآلمها، فتتركه لمحاولة ثانية، ويظلّ الحرذون يناور ويدير لها رأسه، إلى أن ينالها التعب فتصرف النظر عنه، لتفتّش عن طريدة جديدة.

- ويفرّ الحرذون هارباً لا يلوي على شيء، عائداً إلى دياره تاركاً سلاحه لمعركة قادمة.

- إنها قصّة شيّقة ومثيرة معاً!

- بل قل سبحان اللّه الذي ينجّي الضعفاء من خطر الأقوياء، وبأبسط الطرق. لقد خلّص الحرذون بواسطة عودٍ صغير، لأنه اجتهد بحمل

سلاحه، وعَرَفَ كيف يتدبّر أمر خلاصه، وإلا لما بقي على قيد الحياة. وإن كان اللّه قد اهتمّ بحيوانٍ بسيط، ألا يهتمّ بالإنسان صورته ومثاله؟ ألا يعطيه الوسائط الفعّالة لنجاته؟

- أبي، والإنسان ممّا عليه أن ينجو؟

- لقد تكلّمنا عن صراع حيوانين زاحفين في البريّة، وعلينا الآن أن نتكلّم عن مشاكل البشر وصراعهم، أفراداً وجماعات، وكيف يأكلون حقوق بعضهم البعض، وخاصةً الضعفاء منهم، وليس غير العدالة تستطيع أن تضع عوداً في فم هؤلاء الظالمين.

ويبقى الكلام عن الصراع الطويل، بين الإنسان والشرّير، والمستمرّ على البشرية منذ تكوينها، منذ كان الإنسان مع اللّه في الفردوس (السماء). لقد عمل الشرّير يومها على إغواء آدم وحوّاء، وتسبّبَ بطردهما من الفردوس، وبالتّالي طُرِدَ الجنس البشري بكامله، وما زال جاهداً وبكل أنواع الخطايا، كي يمنع الإنسان الموجود على الأرض، من العودة إلى وطنه الأوّل، حيث يمكنه أن يلتقي بربّه مجدّداً.

وعن هذا الموضوع يحدّثنا الكتاب المقدّس بقوله: "إنّ الشرّير (الحيّة القديمة) كالأسد يفتّش جاهداً عمّن يفترسه ويبتلعه".

- وهل بإمكان الشرّير ابتلاع إنسان؟

- كلا، ولكنّه يجرّه إلى الخطيئة، فتبتلعه جهنّم.

- وما دخْلُ قصّة الحرذون بالشرّير؟

- كلّ هذا لأقول لك، عليك أن تتشبّه بالحرذون، ومثله تعرف كيف تحتمي من الشيطان، فتمنعه من ابتلاعك.
- وبمن يجب أن أحتمي لأمنعه من ذلك؟
- لقد أعطانا اللّه ابنه (كلمته) مخلّصاً وفادياً (فدانا على الصليب). وسلاحك يا حبيبي يتمثّل بطاعة الابن وحَمْلِ عُودِهِ المقدّس. فإن تمسّكتَ بعود الصّوم والصّلاة، بعود القداسة والطّهارة، بعود المحبّة والرحمة، أتظنّ أنّ الشرّير يستطيع أن يغلبك فيما بعد؟
- معكَ كلّ الحقّ يا أحبَّ أب.
- إعمل هكذا يا بُنيَّ لتتمكّن من العودة إلى وطنك الأوّل (السماء).
- شكراً على هذه القصّة الممتعة. تصبح على خير.

هزّة وتدْ خرّبت بلدْ

هزَّةٌ وتَدٌ، خَرَّبَتْ بَلَدْ

- كم أنا مشتاق إلى قصصكِ يا حبيبتي!
- إليك يا بُنيّ كيف ساءت الأمور في إحدى البلدات الريفيّة الهادئة، وكيف تغيّرت حياتها: كانت إحدى العائلات فيها، تعيش بأمان واطمئنان، صاحب البيت يفلح الأرض ويزرعها، والزوجة تعتني بالبيت وتهتمّ ببقرتها.

والقناعة تساعد على العيش. وتمرّ الأيّام بهدوء وسلام. وصار للبقرة عجلٌ صغير، ربطته صاحبته بوتدٍ قويّ على مقربة من أمّه، لتسهّل عليها عملية الحلب.

وفي هذه الأثناء، أرسل الشيطان ابنه ليزرع الأرض شرّاً وفساداً. وما طال المُرسل الصغير أن عاد إلى أبيه فرحاً مسروراً، ليخبره بما فعل.

- سأله أبوه متهكّماً: وماذا فعلتَ أيّها الفهلويُّ في هذه الفترة القصيرة، حتى تستحقّ المديح؟
- قال: دخلتُ إحدى القرى عند الغروب، فوجدتُ امرأة تحلب بقرتها، وقد ربطت العجل إلى جانب أمّه.
- وماذا أيضاً؟

- صرتُ أهزُّ الوتد، في غفلة عن المرأة، حتى صار رخواً، ثم ابتعدتُ لأراقب ماذا سيحدث؟

- هلْ هذا كلّ ما فعلتَ أيها الأحمق الصغير؟ هل اكتفيتَ بهزّ عودٍ يابسٍ مغروسٍ في الأرض؟ أيهمّني هزّ الوتد، أم زرع الشرّ والخراب؟ سوف ألقّنك درساً قاسياً على بلاهتك هذه.

- أرجوك. أمهلني لتعرف ما حصل.

- أوضِحْ بسرعة، لأني مستاء منكَ.

- ما إن أوشك السطلُ على الامتلاء، حتى تمكّن العجل من قلع الوتد الرخو، والاندفاع نحو أمّه، فقلَبَ السطل ومن تحلب فيه، وسالَ الحليب على الأرض. خرج الزوج على صياح زوجته، فشاهدها ملقاة على ظهرها والحليب ينساب بجانبها، فصرخ في وجهها شاتماً إياها. أجابته (وهي الموجوعة) بلهجة قاسية، وحدث تلاسنٌ أدّى إلى شجارٍ قويّ، فانهال عليها بالضّرب واللّكم. هربت إلى بيت أهلها القريب، لكنّه لحقَ بها متوعّداً مهدّداً.

- شاهد أشقّاؤها بأمّ عينهم صهرهم وهو يضرب شقيقتهم، فأمسكوا به وردّوا له الكيل كيلين. لم يكن أمامه سوى الاستغاثة بربعه الذين أسرعوا ليساندوه، كما استنجد أهل الزوجة بمن لهم فانقسمت البلدة إلى فريقين.

- وأكمل صغير الشيطان قال: كانت المواجهة بينهما عنيفة، فنكّلوا

(قاتلوا) ببعضهم البعض ضرباً وتجريحاً، ولم تسلَم البيوت ولا الحقول من الحريق، وما خلُصَ من أهل البلدة إلا كلّ طويل عمر.

- عندها أثنى الشيطان الكبير على صغيره وهنّأه قائلاً: لقد أبدعتَ أيها اللعين الصغير، سوف لن أخاف عليك من الآن وصاعداً.

- وسأل الصبيُّ أمّه قال: شيء مؤسف وغريب في ذات الوقت! خَرِبَتِ البلدة من جرّاء هزّ وتد؟ لقد استطاع هذا الشرّير الصغير أن يغلب جميع مَنْ في القرية، ويجرّهم إلى قتال مرير نغّص عليهم حياتهم. ألم يكن مِنْ طريقة تمنع حصول هذه الكارثة؟

- طبعاً يا ولدي، لقد كان مِنَ المفروض أن تُحسم الأمور بالتي هي أحسن.

- وكيف يكون ذلك؟

- ما رأيك لو قال الزوج ساعتها، لزوجته المغلوب على أمرها: (فداكِ) يا امرأة، عوّضنا اللّه عما ضاع من الحليب، أما كان وضع حدّاً للحادث، وغلبَ الشرّ وأنهى الأمر؟

- بالطّبع لأنه بموقفه الحكيم هذا، قد يحسم المشكل.

- كلامكَ جيّد يا حبيبي، لأن النار لا تُطفأ بالنار، ولهذا فإنّ الشرّ لا يُغلب بالشرّ، واللّه قال بهذا الخصوص: "أغلبوا الشرّ بالخير، ولا تجازوا على شرّ بشرّ". ومن المعلوم أن العاملين بمشيئة اللّه، هم الرابحون.

- وهل أترك الغير يقابلني بالشرّ؟
- إعلم جيداً، أنك إن سمعت كلام اللّه، لن تخسر أبداً، لأنّه سيتدبّر الأمور ويحميكَ.
- كم هو رهيبٌ عملُ الشيطان؟! أظنّ أنّه قادر أن يهدم حياتنا في أي وقت.
- لا يبهرك عمل الشرّير يا ولدي، فإنّ الأمر ليس بهذه الخطورة (متى كنا متيقّظين)، وعمله قد يكون الشرارة الأولى، فإن لم تجد ما تحرقه، سوف تضيع هذه الشرارة سدى. وإني أؤكّد لك أنّ العيب كلّ العيب لا يكمُن في عمل الشّرير وحده، بل أيضاً في نفوسنا الخاطئة، المليئة بالحقد والكراهية، والمشحونة بالطمع والأنانية، والمهيأة لدخول التجارب.
- وهذه النفوس شبيهة بالقشّ والهشيم، والتي سرعان ما تحرقها نار التجارب المهلكة. أما نفوس المؤمنين الحقيقيين فهي كالفضّة والذهب، لا تأثير لنار الشرّ عليها، وقد تزيدها النار تألقاً ولمعاناً. وهذه النفوس التي اتّكلت على اللّه وأرضته في سيرة حياتها، لا يرضى إلا أن يخلّصها من التجارب، وينجّيها من الشرّير.
- شكراً يا أمي على قصّتك هذه، كما إني أعدك أن أتسلّح بكلام اللّه وتعاليمه لأنجو من ألاعيب الشرّير وطرقه.

طاحونةُ الثروات

طاحونة الثروات

- أبي! هل لي بقصّة؟
- بالطّبع يا ولدي. وقصّة اليوم سوف تُغنيكَ بالعِبَر.
- أَسمِعْني إياها من فضلك.
- كان يا ما كان، لأحد كبارِ التجّار ولد وحيد، يعيش عيشاً مرفّهاً، محاطاً بالخَدَم والحشم، كَبُرَ (تربّى) على الغنج والدّلال. جاءته الثروة على طبقٍ من ذهب، دون تعب، فكان حظّه ألاّ يخضع للعُرف القائل: "بعرق جبينك تأكل خبزك"، بل بثروة والدك تتمتّع بحياتك.

كان يحصل على ما يريد، تُغْدَقُ (تَتَدفَّق) عليه الأموال باستمرار، يصرف بلا حساب ويُنفق بلا رقيب. ظنّ والدُه وهو يربّيه، أنّ كثرة الأموال بين يدي ولده، تساعده على التحرّر من عقدة الفقر والحرمان. وفي الوقت ذاته تُنَمّي عنده الشخصيّة المستقلّة، وحبّ المسؤوليّة.

راح هذا الشاب الغنيّ يتعازم رفاقه ولا يرضى إلاّ أن يدفع عنهم، فكانوا يُظهرون له حبّهم، يتملّقونه، ويقدّمون له الإكرام، يتركونه يقرّر ويحسُمُ المواعيد في المناسبات. وتَحلّق حول هذه البقرة الحلوب (إبن الغني) شِلَلُ الوصوليين، ومهّدوا له بإغراءاتهم العديدة.

إنّ طرقهم سَلِسة وناعمة. فانغمس معهم في بؤرِ فسادهم، وتعلّم شرب الكحول والتدخين.... وبعدها انحرف إلى معاشرة الأردياء ليستقرّ به المطاف على طاولة الميسر (القمار) أو ما يسمّونها (طاحونة الثروات) ومُذلَّة العائلات - تضاعف بعدها مصروف هذا الابن الثريّ، مما دفع محاسب الأموال أن يُخبر والده بالأمر، فكان الجواب حاسماً وفورياً: قَدْر ما يسألكَ أعطِهِ، ولا تردَّ له طلباً. ثم جاءه أحد الأصدقاء قائلاً: إعلمْ يا صاحبي أنّ ابنكَ حبيبك، يتعاطى الميسر، فحاولْ أن تمنعه وتضع حداً له. لكنّ الأب الواثق من ثروته والمغرور بنفسه أجاب بكل فخر واعتزاز: ماذا يعمل طير مع كرْم؟ قال هذا دون أن يكلّف نفسه مشقّة تنبيه ابنه، أو كلمة تأنيب يقولها لهذا الطير المفسود.

لم يُرِدِ الغنيّ تعكير مزاج ولدهِ، تاركاً له الباب مفتوحاً على مصراعيه، يسحب ما يشاء من الأموال، مردّداً في نفسه: كم سيؤثّر عصفور صغير على كرم عنب كبير؟ أو كم سيصرف هذا الابن والثروة لا تقدَّر؟ راح هذا العصفور يتطلّب قَدْرَ جماعاتٍ من العصافير، لأنه انتقل من صالات القمار العاديّة إلى (الكازينوهات) وإلى المراهنات الكبيرة.

- أبي، لماذا لم يكتفِ بالمراهنات العاديّة حتى انتقل إلى ما هو أكبر؟

- إنّ لَفي لعب الميسر يا ولدي سرّاً عظيماً. إنه يملك على قلب صاحبه، يتحكّم بعواطفه وأفكاره، يقوده ويستعبده، مصوّراً له ضخامة الربح شرط مضاعفة قيمة المراهنات. حتى إنّ الكثيرين، بدل أن

يتعلّموا الدروس من خسارتهم، تراهم يعلّلون الأمر لصالحهم قائلين: إنّ خاسر اليوم هو رابح الغد. وتستمرّ المراهنات، فترى المقامر يغتني في دقائق ويفتقر في لحظات، ويدوم التقلّب بين الفقر والغنى، والأمل في الربح، وطعم المال يجرّان اللاعبين إلى جلسات جديدة، تُهدَر فيها الثروات وتتبخّر معها الأرصدة، لغةٌ لا يفهمها جيداً إلاّ مَن يعيش في أجوائها.

وتتكرّر المراهنات، عساها تتعوّض الخسارات، والجميع منقادون إلى الهاوية، وقد بَهَرَ المال بصرهم ومنعهم من رؤية الطريق.

وتمرّ الأيام وتتناثر الأحلام. وهذه الطاولة تشهد كيف طَحَنَت ضحاياها، ورمتهم على هامش الحياة، وأودت بهم إلى السجون أو إلى القبور مخلّفين وراءهم نساءً وأطفالاً عُرضةً للأقدار، وبدون ذنبٍ يتألمون.

- أبي، ألا يحقّ للإنسان أن يتصرّف بأمواله؟

- بالطبع يا حبيبي، لكن ضمن إمكاناته وفي وجهة حقّ، أي في سَدّ احتياجاته واحتياجات المسؤول عنهم، وفي عمل الخير وبعض الترويح عن النفس.

- وماذا فعل الغنيّ عندما راح ابنه يصرف المزيد من الأموال؟

- إسمعْ يا ولدي. لقد بدأتِ الثروة تتقلّص، والتنبيهات لم تعد تنفع، لأنها جاءت بعد فوات الأوان، ولأن اللّعب (بالقمار) تأصّل في حياة

الابن ودخل إلى أعماق كيانه. بعدها ساءت أحوال الوالد الصحّية منها والماديّة، واشتدّ حزنه ومرضه حتى فارق الحياة. فرح الابن بانتقال ما تبقّى من الثروة إلى حسابه الخاص، إذ أصبح المسلَّط الوحيد عليها. وتمادى هذا المهووس بلَعبِهِ، إلى أن جاء ذلك اليوم المحتوم، ليُقال له فيه: "يا ولد، إنك لم تَعُد من أصحاب الملايين، أنت الآن بلا رصيد، وأيّ تصرّف غلط سيؤدّي بك إلى وراء القضبان".

وهكذا قضى الابن المفسود على كَرْمِ والده وعصرَ عنبَهُ على طاولاتِ القمار. وكم كان على حقّ من سمّاها - طاحونة الثروات، ومُذلّة العائلات؟!

- إنها نهاية حزينة بالنسبة إلى الوالد والابن معاً.
- نعم يا ولدي، نجّاكَ اللّه من هذا المرضِ العُضال، ومن المصابين به، وأبعدكَ حتى عن أحاديثهم ومجالسهم كي تَسْلَم ممّا صاروا إليه. واجتهدْ أن يكون عيشُكَ بكرامة أي (بالتّعب ومسحِ العرق، وليس بالسّهر وفتّ الورق).
- شكراً لك يا أحبّ والد على قصّتك المؤلمة المعبِّرة، واعداً إياكَ بأنني لن أدخل في متاهات هذه الآفة، (القمار) ما دمتُ على قيد الحياة. تصبح على خير.
- وأنت بألف خير.

جمِّلِ الصلاة بالأعمال

جمِّلِ الصلاة بالأعمال

رجل محبّ لعمل الخير. تهب يداه ما تيسّر مما جناه. للفقير مكان في قلبه وحصّةٌ من تعبه. عطاؤه مقرونٌ بالفرح وليس بالواجب. ورث هذه العادات عن أهل طيّبين عاشوا حياتهم ببساطة وسلام.

وصاحبنا هذا يميل إلى هذه الأعمال دون أن يقيم للصلاة وزناً أو للشعائر الدينيّة قيمة، وقناعته في ذلك أنّ الدِّين ليس إلاّ مجرّد معاملة جيّدة مع الآخرين، أي، باختصار، إنّ (الدِّين معاملة) كما يعتقد بعضهم.

ولهذا الرجل جار متعبّد محبّ للصلاة، يعرف مواعيدها، يُمضي الساعات في تلاوتها، لا يملّ من مطالعة كتبها أو التحدّث عنها.

لكنْ إنْ طلبتَ منه مساعدة ما اعتذر، أو سألتَهُ مالاً لتقترضه نكر.

والعجيب أنّ كلاًّ منهما يعتبر نفسه قد أكمل سعيه وعمل ما طُلب منه، وأن لا لوم عليه ولا حَرَج أمام الله، فهما يمارسان إيمانهما، كلٌّ على طريقته وبحسب قناعته.

وغالباً ما كان النقاش يدور بينهما عن الصلاة وقوّتها، وعن أعمال الخير وضرورتها.

ويبقى الجدال مستمرّاً، ويطول الكلام دون الوصول إلى حلّ. وتبقى

الأفكار متباعدة وإمكانات التفاهم غير واردة، متّهمَين بعضهما البعض بالغباء وقصر النظر.

بقيا مختلفين، لكنهما اتّفقا على التحكيم. والحكم الكفوء هو الناسك الجليل، الساكن على شاطئ البحيرة القريبة. إنه رجل الله. أمضى حياته في التعبّد والصلاة من جهة، وإرشاد الناس وتصويب طرقهم من جهة أخرى.

ولمّا وصلا إلى الصومعة (بيت الناسك) وجداه يصلّي فانتظراه. ولما انتهى، سألهما عن سبب قدومهما؟ فطرحا عليه المشكلة. فأجاب: "جيّد! إنكما حضرتما إلى هنا". ثم طلب منهما أن يتبعاه إلى القارب المتواجد على ضفّة الماء، وقال: "أُنظرا إلى هذين المجذافين". لنسمِّ الأوّل: "عمل الخير". والثاني "الصلاة". وليمسك كلّ منكما بمجذافه.

طلب من الأوّل استعمال مجذاف العمل، فإذا بالقارب يدور في مكانه. وطلب من الثاني استعمال مجذاف الصلاة، فدار القارب أيضاً حول ذاته. ثمّ طلب من الاثنين أن يستعملا مجذافيهما معاً. فانطلق القارب بهما وابتعد. ولما رجعا هزّ الناسك رأسه وقال: "إعلما يا صاحبيَّ، كما أنّ الجسد والروح يجب ألاّ ينفصلا، هكذا الصلاة والأعمال عند الإنسان، فانهما يكمّلان بعضهما البعض".

و"اعلما أنّ الصلاة قادرة على أن تنمّي حياة المؤمن الروحية، وتقرّبه من

الله. الصلاة، إذا استوفت الشروط عملت العجائب، وأبعدت عنا المصائب". وبهذا الخصوص قال السيّد المسيح:

- "صلّوا ولا تملّوا" - "صلّوا لئلا تدخلوا في تجربة".

و"اعلما أيضاً أنه لا شيء يُرضي الله مثل أعمال الرحمة. ولهذا فإنه طوّب الرحماء وفاعلي الخير، إذ قال:

- "طوبى للرحماء فإنهم يُرحمون - طوبى لفاعلي الخير، إنهم أبناء الله يُدعون". وفي الوقت ذاته، انتقد سلوك الغنيّ الذي أهمل (لعازر) الفقير المطروح عند باب بيته يشتهي فتاتة خبز.

كما أنه وبّخ الذي احتكر غلاله لنفسه ووسّع مخازنه متناسياً المعوزين.

ويا صاحبيَّ، إنّ لفي الناس فئات واتّجاهات. فالذي يصلّي ولا يعمل الخير، إنما يصلّي لإلهٍ كي يحميه وينجّيه، وصلاته تبقى مجرّد طلبات وأمنيات تدور في فلك الذات، كما دار القارب بمجذاف واحد.

ومنهم المتّكلون على أعمالهم، فهم لا يصلّون، وكأنهم بغنىً عن خالقٍ يمجّدونه وربٍّ يعبدونه. يظنّون أنّ الصلاة ليست إلا مضيعة للوقت. ويبقى السؤال مطروحاً: وهل أفضل من الله لنتعامل معه إن كان الدِّين معاملة؟ وقارب هذه الفئة يظلّ يدور أيضاً حول ذاته.

ومنهم الذي لا يعمل ولا يصلّي، وكأنّه بملء إرادته قد قطع علاقته بربّه، وبأخيه الإنسان. فقارب هؤلاء يبقى بلا حراك أمام آخرة محتومة.

أمّا الذي يصلّي ويطابق أعماله مع صلاته، فإنّ قاربه قادر على الانطلاق والوصول إلى شاطئ السعادة الأبديّة.

عندها تقدّم الجاران من الناسك وقالا:

أنت محقّ يا رجل الله، لأنّ الدرس كان ناجحاً والكلام فيه معقولٌ.

ثم ودّعا الناسك، وعادا شاكرين متّفقين على أن يجمّلا الصلاة بالأعمال.

حُكمُ الأحكام

حُكْمُ الأَحْكامْ

قيل إن ملكاً عادلاً يرعى مملكته بالحزم والحقّ. إنها مملكة واسعة الأرجاء. يساعده فيها الوزراء والحكّام والقضاة.

وكانت البلاد تنعم بالأمان والسّلام وسِعَة العيش في ظلّ حُكمِ هذا الملك الصالح والقدير.

لم يكن لهذا الملك سوى ولد وحيد، أصبح في عمر الشّباب، لكنّه كان يميل إلى مباهج الحياة وأفراحها، أكثر من اللّزوم، مستغلاً عاطفة الملك أبيه، ومتّكلاً على مكانته ومقامه، وما لَهُ من امتيازات تُمكّنه من التصرّف على هواه، هو ومَنْ معه من الرّفاق.

وحدث أن أصيب الملك بمرضٍ عضال، أقعده لفترة طويلة، إنقطع فيها عن رعاية مملكته والاهتمام بشؤونها، فدبّ الفساد في غيابه، وساءت تصرّفات الكثيرين، وكثرت أعمال النهب والسرقة والتعدّيات، وكأنّ العدل مَرِضَ مع مَلِكِهِ، وأصبحَ قاصراً عن بسطِ سلطتهِ.

ولما استعاد الملك صحّته، عاد إلى عمله واطّلع على سير الأمور في المملكة، فاستاء كثيراً لِما يجري فيها.

جَمَعَ الملك مساعديه لتدارك الأمور، وفَرْضِ أقصى العقوبات بحقِّ

المخالفين. وكان أن أصدر أمراً مَلَكياً يقضي بأن تُفقأ عينا كل مَنْ تثْبُتْ عليه تُهم الشرّ والفساد.

عمل المسؤولون والحكّام على نشر هذا المرسوم وتبليغه إلى جميع أبناء الشعب. وفي الوقت المعيّن، أصبح هذا القانون ساريَ المفعول. فانتشر الحرّاس والجنود في كافّة المدن، للسّهر على الأمن، وللبدء بتنفيذ الأوامر.

ومِنْ غرائب الصُدف، أنّ أوّل مَنْ أُلقيَ القبضُ عليه متلبّساً بهذه التّهم، هو ابن الملك ذاته.

إنقسم الحرّاس فيما بينهم، فئة تريد تركه خوفاً من والده، وفئة تريد إبقاءه. واستقرّ الرأي أخيراً على تسليمه للعدالة. لكنّ صعوبة ثانية برزت للمسؤولين، تتمثّل بكيفيّة إخبار الملك، لأنّ المقبوض عليه الأوّل، كان ابنه المدلّل.

لقد كانت الصدمة قاسية ومُعيبة بحقّ هذا الوالد، فكاد يُجنّ لأنّ المسألة في غاية الخطورة. العقوبة ستطال وحيده، وريث مُلكِه، وستُفقده بصره. ومع فقدان البصر، سوف يفقدُ كلّ شيء. راح بعدها يتصوّر ابنه حاملاً عصاه متلمّساً طريقه، محروماً من الرؤية، مهمَّشاً في مجتمعه غير قادر على مواكبة الحياة.

إنتفض الملك في مكانه رافضاً هذا المصير، قائلاً في نفسه: لا، لن يُنفّذ هذا الحكم. مستحيل أن أقبل به.

لكنّ الأمر ليس بهذه السهولة. فهو أمام مصداقية المُلك، وحُكم الشعب. وهو مُلزم بتنفيذ الأمر الذي أصدره مهما كانت التضحيات.

لم يعرف النوم تلك الليلة. إنه يحبّ وَلَدَه حبّاً كبيراً. فراح يُجهد تفكيره، علّه يجد حلاً يُنقذ به ابنه دون أن يخالف القانون.

وفي اليوم التالي، احتشد الشعب في ساحة القصر منادياً. "العدل، العدل".

اللّغطُ قائمٌ، والسؤال يتردّد، هل سينفِّذ الملك حُكمه أم لا؟

وحضر المتّهم ومِن حوله الحرّاس. واكتملت هيئة القضاة ومعهم الوزراء والمساعدون. إكتمل النصاب، وأطلّ الملك المُحرَج. الشعبُ هائجٌ، وكأنّ الجميع في محكمة، ولا بدّ من حكمٍ يصدر بحقّ المخالف.

أشار الملك بيده معلناً بدء المحاكمة، فقال القضاة كلمتهم: "لتُفقأ عينا الابن". صاح الملك: لا، لا. فحدث هدوء عظيم، ثم تابع كلامه ليقول: "سأصدر حكمي، وعليكم أن تقبلوا به أم لا؟" فانحبستِ الأنفاس من جديد.

وبرباطة جأش وبكلّ ثقة وهدوء قال الملك: "لتُفقأ لي عين، ولولدي عين". فصرخ الشعب: "ليحيَ العدل، ليحيَ العدل".

تعجّب الحكّام فيما بينهم وقالوا: "كم هو عظيم هذا الحكم!؟ إنّه حكم الأحكام!

وكان الدّرس الذي تلقّنه الابن قاسياً، أعاده إلى رشده، فغيّر سلوكه وعمل أعمالاً صالحة فاستحقّ تسلّم المُلك.

أمّا الشعب فكان يرى الحِكمة والعظمة في مَلِكِهِ العجوز، ويُسرّ بالعدل وما عمله في ابنه الملك الجديد.

وكان الابن إذا ما رأى ذاته، تذكّر طيشه، وما تسبّب به لنفسه ولوالده.

أما الوالد إذا ما رأى ذاته قال: هذه آثار محبّتي التي لن أتخلّى عنها، مهما قيل عنّي.

وإذا ما نظر الابن أباه قال: أين كنتُ لولا محبّة والدي لي؟ ما الذي كان حدث لو لم يضحِّ بنفسه من أجلي؟

وهكذا إن كانت محبّة إنسان لولده هي بهذا الحجم، فحجم محبّة اللّه لنا، كيف يمكنها أن تكون؟!

سْطَحّ

سَطَحّ

تذكّرتُ من أيّام الطفولة أنّه كان لجارنا حَمَلٌ أبيض ناصع، وديع ومطيع. كنت أقضي الوقت معه، أداعبه وأقدّم له العشب، أو كسرة خبز من لفّة صعتر كنتُ أرغبُ في أكلها بقربه، أو ورقة ملفوف أحملها إليه. أُسَرّ برؤيته وهو يلتهمها بفمهِ الصغير. لقد كان من ألعابي المفضّلة.

وكان ابن جارنا، صاحب الخروف، أكبر مني سنّاً، أرافقه من حين إلى حين، نلعب ونتسلّى مع بعضنا البعض.

وذات يوم فيما كنتُ ألاعب صاحبي الصغير، لاحظتُ أمراً لم يسبق لي أن عرفتُه من قَبل. رحتُ أراقب صديقي وهو يعلّم هذا الحيوان الرضيع كيفيّة النطح. فكان يجلس أمامه، يضربه بكفّه على رأسه ضرباً خفيفاً، مردّداً عليه كلمة (سْطَحّ) مفردات ومصطلحات يتوارثُها المزارعون وأبناء القرى، يتعاملون بها مع حيواناتهم.

وكان الخروف على التكرار، عند سماعه هذه الكلمة (سْطَحّ) يتحمّس، يرجع إلى الوراء ويهاجم ابن صاحبه لينطحه.

عمليّة كانت تُثير ضحكنا، وتُسلّينا في الوقت ذاته. رحنا نكرّرها

باستمرار، ونذكّره بها، حتى برع خروفنا بممارستها. ولذّت له هذه الطريقة، فظنّ أنّها أمر جيّد ولعبة مسلّية يجب القيام بها إرضاءً لصاحبه.

وجذب هذا الحَمَل على صِغَرِ حجمه نظر الأولاد الذين راحوا يتحلّقون حوله ويضحكون عليه. كلّ واحد يحاول لفت انتباهه بكلمة (سْطَحّ) المصطلح المعروف، لتكون الضربة من نصيبه. يلاعبونه غير خائفين، ما دامت نطحته صغيرة مثله.

ولكنّ الصغير صار كبيراً، ونطحتُه كَبُرت معه، وأصبح يهاجم الكبار والصغار معاً. يؤذي بعضهم ويرمي البعض الآخر أرضاً، فصاروا يخافونه حتى إنّ بعض المارّة لم يسلموا من نطحةٍ موجعةٍ كانت تؤلمهم.

وتحوّلت الوداعة إلى شراسة والطيبة إلى أذيّة، وكثرت الشكاوى من الأمّهات والجيران على هذا الخروف المتبدّل، الذي تغيّرت تصرّفاته، وانقلبت عاداته، فأصبح موضوع قلقٍ واضّطرابٍ للآخرين.

ولم يعد ذلك الحَمَلَ الوديع، ولا ذلك الحيوان المطيع، وما كان بإمكان صاحبه السكوت عن تصرّفاته، ولا منعُهُ من ملاحقة الأولاد، لأنّ هذه العادة لازمته وتأصّلت في حياته. عندها قرّر التخلّصَ منه.

أخذه إلى السوق ليبيعه، فظنّ الخروف أنّه ذاهب في نزهة استجمام، أو للمشاركة في مباراة مع خروف آخر لمعرفة الرابح فيها.

إشتراه أحد اللحّامين. ولما قبض صاحبه ثمنه تمتم قائلاً: "لقد

استعجلني في التخلّص منه، لقد جنى على نفسه بعدما تعلّم هذه العادات السيّئة. لم يعد بإمكاني الاحتفاظ به...“

ربط اللّحّام قوائم الخروف وقَلَبَهُ على ظهره والسكّين في يده. نظر الخروف إليه وكأنه يقول: ”هذا الشرّ الذي أوصلني إليكَ ليس من طبعي يا سيّدي. إن ابن صاحبي هو مَنْ علّمني الإساءة وتسبّب في تغيير تصرّفاتي، لقد فعل ذلك بدافع التسلية والترويح عن النّفس. لم يعلم أنّه كان يتلاعب بحياتي ويتحكّم بمصيري، لقد غيّر عاداتي وبدّل تصرّفاتي، حتى لم يعد بإمكاني التخلّص من خِصالي السيّئة بسهولة. لقد أصبحتُ شريراً وخطيراً على حياة مَنْ هم حولي، أُضِرُّ بهم وأؤذيهم بدون سبب. إني أرجوك أكْمِلْ عملك، واقطعِ الشرّ الذي تربّيتُ عليه، لأنّه لم تعد تنفعني الحجج والأعذار، إني ضحيّة مجتمع فاسد، والويل لمن يكون الضحيّة!“.

ومرّت السنوات. وبعدها تزوّجتُ، وأنجبتُ الأولاد، وكان الأصحاب والجيران في زياراتهم لي يضمّونهم إلى صدورهم ويقبّلونهم مُظهرين لهم العواطف والأشواق. لكنّي كنتُ أتحرّق في داخلي عندما كانوا يعلّمونهم ما لا يجب أن يتعلّمه الأطفال، محاولاً منعهم بكلّ لطافة، متذكّراً خروف الجيران وما صار إليه. ولم أردْ أن يتكرّر الأمر مع أولادٍ أبرياء، ولا أن يعلّموهم الحركات البذيئة، إن كان بالأصابع أو باللسان أو غيره وخاصة الشتائم، مستهضمين تصرّفاتهم وألفاظهم المغلوطة،

فيضحكون عليها مشجّعينهم بشتّى الإغراءات، تارةً بالمال، وتارةً بالحلوى أو بحضنهم وتقبيلهم، وكأنهم يهنّئونهم على عملٍ شريفٍ عملوه، غير عالمين أنّه بعد الضّحك واللّعب يأتي الجدّ.

وأنّ طفل اليوم، الذي غرسوا في حياته حبّ الرذيلة والفساد، سيكون رجل المستقبل حاملاً معه ما تعلّمه، لأنه: (مَنْ شَبَّ على شيءٍ شاب عليه).

وما زال هذا الأمر يتكرّر مع العديد من أطفالنا الذين نخاف على حياتهم ومستقبلهم. إنهم فلذات أكبادنا. ونحن مسؤولون عنهم. أطفالنا أليسوا هديّة السماء لنا وملائكتنا القدّيسين؟ ويأتي السؤال ماذا عمِلنا بهم؟

لقد أهملْنا تربيتهم، فضاعت طهارتهم، وابتعدت نفوسهم عن حبّ الخير وعمل الصلاح، وتأصّل الشرُّ في أعماقهم. لهذا أتوقّع أن يكون الحساب عنهم أمام اللّه عسيراً.

- "الويل لمن يُشكّك أحد هؤلاء الصغار... الويل لمن تأتي الشكوك على يده "السيد المسيح".

ألهذا الحدّ؟

أَلِهَذا الحَدّ؟

- أبي! هل لي بحكاية؟
- طبعاً يا حبيبي. وسوف أكلّمك اليوم عن أمرٍ فظيع، يُفسد الهناء ويُضرّ بالجميع.
- وما هو هذا الأمر العظيم والشأن الخطير؟
- حُكيَ يا ولدي، أنَّ ملكاً حكيماً نشيطاً، كان يهتمّ برعيّته، ويتقصّى أخبار الناس ومشاكلهم. وكانت دهشته تتعاظم مع ازدياد أعمال الحسد والغيرة في المملكة.

أعمالٌ لم تكن تخطر على بال أحد، ولو أنّ إبداع الحسّاد ينصبُّ في مجال عمل الخير، لَنَعِمَت الإنسانيّة بخبرتهم وذكائهم.

ذات يوم، قرّر الملك إحضار أشدّ حسوديْن لديه، للتعرّف على طريقة عيشهما، وللبحث في أمر هذا المرض الخطير، والذي غالباً ما يضرّ بصاحبه، وبالذين حوله.

من أجل هذا نشر الملك رجاله في كلّ الأنحاء، يجمعون أخبار هؤلاء الأشقياء. وكان كلّما استقرّ الرأي على أحدهم لفت نظرهم، مَنْ هو أشدّ حسداً، فيتركون الأوّل ليهتمّوا بالآخر.

وبعد فترة من البحث والتفتيش، تمَّ اختيار اثنين من أهمّ الحسّاد، فأحضروهما، ليمثُلا أمام العرش.

- فقال الملك للأوّل: ماذا فعلتَ حتى جيء بكَ إلى هنا؟

- كنت يا صاحب الجلالة، أعمل مع زميلٍ لي في حراسة قصر الوالي، وكان هذا الرفيق أنشط وأسرع منّي في تنفيذ الأوامر، فقُدّرَ له أن يتسلّم مسؤوليّة الحرس كاملة، وصِرتُ حُكماً تحت رحمته. وكنت أصارع عذاباً أليماً في داخلي، ترافقه تساؤلات عديدة، غالباً ما تتردّد في أعماقي لتقول:

لماذا هو وليس أنا؟

لماذا لا يكون الإكرام لي والسلطة في يدي؟

لهذا قررّتُ إزاحته من أمامي بشتّى الوسائل.

- وماذا فعلتَ؟

- قصدتُ ذات يوم جناح النساء والحَريم من أجل لَفتِ النّظر. وبأسرع ما يكون، عُدتُ إلى الوالي، لأشتكي على صديقي، وأُلبسه تهمة استراق النّظرات المحرّمة على العاملين في دار سيّدهم.

غضب الوالي غضباً عظيماً، ورمى بزميلي في السجن، فكان ذلك عندي بمثابة عيد. لكنَّ الزوجة، كانت بانتظار عودة زوجها لتُخبره بما حصل. فطمأنها بأنه قد اتّخذ بحقّ الجاني كلّ الإجراءات اللازمة، وأنَّه

طرحه في السجن، وسوف يطرده من العمل. لم تكتفِ الزوجة بذلك، لأنَّها أصرّت على إحضار المذنب وتأديبه أمام عينيها.

نزل الزوج عند رغبتها، ولما أحضروا زميلي، هزّت الزوجة برأسها معترضةً على شخصه، عندها أحضروني بدلاً منه، وتعرّفَتْ عليَّ، فتمّ جلْدي جلْداً عنيفاً ورموا بي في السجن، وها أنا أتسكَّع حتى اليوم بدون عمل.

– ثم نظر الملك إلى الحسود الثاني وسأله: وأنتَ ماذا فعلتَ؟

– كنت يا ملك الزمان أعمل مساعداً عند أحد الأمراء مع سائسٍ للخيل نُطعِمها ونهتمّ بها. وكان له دور الاهتمام بالأمير ومرافقته في نزهاته ورحلاته، بينما كنت مُجبراً على البقاء في الإسطبل أقوم بأعمال التنظيف والرعاية.

وكنت كلّما أخلد إلى ذاتي، أبدأ في التخطيط لإزاحة خصمي من طريقي. فرُحت أُفتّش عن السُبل الكفيلة بذلك، وأخيراً حَضَرَت الفكرة. الأمير يتنزّه يومياً على حصانه، يجب أن أسبّب له حادثاً ما، بقصد الإضرار برفيقي.

عندها عمدتُ إلى دقّ حزام سرج حصان الأمير بحجر، حتّى كاد ينقطع، ثم أرجعته إلى مكانه. وفي الغد استعجلني الأمير لمرافقته بسبب غياب زميلي، فغمرني الفرح وأنساني قصّة الحزام.

إنطلقتُ معه على حصانٍ آخر، وكان أنّه لما زادت سرعة الحصان، أن

انقطع الحزام، فسقط الأمير أرضاً وكسر يده. نهض عن الأرض متألّماً متوجّعاً، متوعّداً إياي بأشدّ العقوبات. وبالفعل أمر بضربي وطردي من خدمته، وما زلتُ حتى اليوم أفتّش عن عملٍ فلا أجد.

تعجّب الملك من أمر الحسد، ومن انعكاسه على أصحابه، وعلى المجتمع ككل. ثم نظر إليهما نظرة قاسية، وبلهجة آمرة قال:

- "إسمعا جيّداً، أريد من أحدكما أن يطلب ما يشاء، ولكن ليكن بعلمكما أنّني سوف أعطي الثاني ضِعفَ ما طلب الأوّل".

خيّمَ الصمت وطال السكوت حتى نَفِدَ صبر الملك، ممّا اضطّره إلى إجبار أحدهما على الردّ فوراً.

- فأجابه الحسود بدون تردّد: "يا مولاي، إفقأ لي عيني اليمنى".

فجُنّ جنون الملك، وتساءَل: "هل هذا معقول؟" ألهذا الحدّ وصل به حَسَده وغيرته؟ أيرضى أن يُصبِح أعور ليرى خصمَهُ وقد أصيب بالعمى؟

- أبي كم هم تعساء هؤلاء الناس؟

- نعم يا ولدي، إنّهم يستحقّون الرحمة والشفقة، لأنّ الحسد أعمى عيونهم، وملأ قلوبهم، فصاروا مثل معلّمهم إبليس، الحسود الأوّل، ينشرون العداوة والأذيّة بين الآخرين. لهذا أطلب من اللّه أن ينجّينا من الحسد والحسّاد، وما يجلبه علينا من فساد.

- شكراً لك يا أحبّ والد على قصّتك هذه. تصبح على خير.

طلوع الكرشْ ولا طلوع القرشْ

طلوع الكرش، ولا طلوع القرش

- غالباً ما أسمع يا أبي الناس يردّدون هذه العبارة في أحاديثهم عن البخلاء والطمّاعين:
- "طلوع الكرش ولا طلوع القرش". وحتى الآن لم أتوصّل إلى معرفة القصد من هذا المثل الشعبي المتداول؟!
- إنّي مُعجب بكَ وبذكائكَ يا بُنَيّ، لأنَّكَ لا تترك أمراً غامضاً يمرّ عليكَ دون السؤال عنه، وكل ما أتمنّاه هو أن تُصغي إلى كلامي، كي تتوصّل إلى فهم العبرة المتواجدة في هذه القصّة.
- إني على أحرّ من الجمر لسماع جميع أقوالك.
- ذات يوم عَلِمَ أحد الفلاّحين أنّ قطعة الأرض الملاصقة لبستانه، قد طُرحت للبيع، وأنّها ستضيع من يده إن لم يتدارك الأمر ويشترها. وقاده تفكيره للظنّ أنّه ربّما اشتراها أحد الغرباء، وجاوره في رزقه، وخاصّة إذا كان هذا الجار طمّاعاً ومؤذياً، هناك تكون المصيبة الكبرى. فراح يردّد في نفسه قائلاً: أنا الأحقُّ وحدي بامتلاكها، ولا أرغب في أن يمتلكها أحد غيري.
- وهل استطاع أن يضمّها إلى أرضه؟

– لم يكن لديه ما يكفي من المال لتحقيق هذا المشروع. إستصعبَ الأمر أولاً لكنّه راح يُجهد تفكيره علّه يتوصّل إلى حلٍّ يمكنّه من بلوغ الهدف.

وبعد جهدٍ جهيد خطر في باله جاره التّاجر الغنيّ، إذْ لا أحد سواه يمكنه أن يوفّر له المال اللازم لشراء الأرض.

قرّر أن يعرض عليه مشكلته، ويطلب منه أن يقرضه بعض المال لفترة قصيرة. وللتأكيد على صحّة مزاعمه، اصطحب معه الشهود، مطمئناً إياه بأن الدّفع سيتمّ في حينه، لأن الصفقة تبدو رابحة، والأمور ستكون ناجحة.

تردّد التّاجر في قبول العرض، لأنّه غير مستعد لتحمّل الأتعاب والصعوبات في استرجاع أمواله، فهذا الفلاح معروف ببخله وطمعه. لكن من أجل اللجاجة وحضور الشهود، وتأكيد الضمانات، قرّر إعطاءه خمسين ليرة ذهباً في ذلك الوقت، فحقّق الفلاّح مبتغاه.

ومرّت الأيام وغلّت الأرض غلالها، وصاحبنا يراوغ ويخلق الأعذار ممتنعاً عن الدّفع، متسلّحاً بالحجج والأكاذيب.

ضاق صدر التّاجر من هذا المَدين، فحاول عرض المسألة على الملك، الذي تربطه به علاقة صداقة متينة.

فوجيء الملك بالخبر، وتأسّف لما حصل، وحوّل الدعوة إلى رئيس

القضاة، طالباً منه إنزال أشدّ العقوبات بحقّ هذا الطمّاع البخيل ناكر الجميل، ومُبدياً أيضاً رغبته في حضور الجلسة شخصياً.

- وفي الموعد المحدّد حضر المدّعي والمدّعى عليه والقضاة ثم وصل الملك. سأل القاضي المتّهم قال: "هل استدنتَ حقّاً من جارك التّاجر ثمن الحقل الذي اشتريته"؟

- نعم أعطاني يومها خمسين ليرة ذهباً.

- ولماذا لم تُرجع له المبلغ الذي أَقرضك إيّاه؟

- سوف أردّه يا سيّدي بكل تأكيد، متى سنحت لي الظروف.

- أجابه القاضي: كان عليك أن تلتزم بالوعود التي قطعتَها.

- هذا صحيح.

- صحيح أم غير صحيح، سوف أضَعُكَ أمام ثلاث اختيارات، عليك أن تختار واحدة منها، وإلاّ رميتك في السجن.

- وما هي يا سيّدي القاضي؟

- إما أن تأكل خمسين بصلة (حجم وسط)، أو أن تُضرَب خمسين جلْدة، وإمّا أن تدفع ما عليكَ من ليرات الذّهب.

- إنتفض الملك في مكانه مُعترضاً على الحكم بقوله: أهذا هو حُكمك الشديد أيّها القاضي؟

- لا عليك يا مولاي، أَمهلْني قليلاً، فأنا متأكّد من أن الحكم سيكون

عبرةً لمن اعتبر، لإني صرتُ خبيراً بهؤلاء الناس. ثم التفت إلى الفلاّح وقال: ما هو اختيارك؟

- أجابه على الفور: عليَّ بالبصل.

كان القاضي قد حضّر كل ما يلزم. فراح المدَّعَى عليه يلتهم البصل الذي يحبّه ويأكل منه يومياً، كان يلتهم الواحدة تلو الأخرى حتى وصل إلى البصلة العشرين.

عندها خاف التّاجر على أمواله، وعضّ الملك على شفته متمتماً: أمعقول هذا؟ هل سيربح الرهان؟ أما القاضي فكان بارد الأعصاب مرتاح البال.

- وما إن وصل صاحبنا إلى الرقم ثلاثين حتى جحظت (برزت) عيناه، وسالَ لعابه، والتهب جوفه فصرخ قائلاً: أبعدوا البصل عنّي أبعدوه، لإني أكاد أموت.

تنفّس عندها الملك، واطمأنَّ التّاجر، وابتسم القاضي.

- وبعد استراحة ولملمة أنفاس، قال: اجلدوني.

رَبَطَه الحُرّاس عند رجليه، وراحوا يتعاونون على جلْده بقضبانٍ قويَّة، راحت الضربات تتوالى على قفا رجليه، والحاكم يعدّها.

ومع كل جلدة، كانت تصدر منه صرخة صامتة يئنّ معها ويشدّ على أسنانه فتبرز عروقه.

- تورّمت قدماه، وسالَ دمه، وصار مفعولُ كلّ جلدة يساوي أضعاف

الأضعاف. لم يصمد طويلاً، فشهق من أعماقه: الرحمة الرحمة، أوقفوا الضرب أرجوكم أوقفوه.

أجلسه الحرّاس وأمهلوه قليلاً ليعرفوا ماذا يريد. ولما عادت إليه روحه، قالها بصوت متقطّع متهدّج "سووووف أددددفع". وبصعوبة مدّ يده وفكّ زنّاراً من جلْد كان يشدّه على وسطه، وأخرج منه المبلغ المطلوب، ودفعه للتّاجر.

- ضحك الملك عالياً، هزّ رأسه، ثم نظر إلى القاضي وقال: لستَ بهيّن يا صاحبي. أرى أنّك عليم ومتمرّس بهذه الفئة من الناس. لقد كنتَ واثقاً بنفسك كلّ الثقة.

- نعم يا صاحب الجلالة، إنّ الأيّام علّمتني الكثير عن هؤلاء الطمّاعين والبخلاء الأشقياء.

- وتدخّلَ الابن فقال: ألم يكن من الأفضل يا أبي لو اختار الفلاّح الدّفع وارتاح من كل هذا العذاب؟

- هذا أكيد ولكن ما العمل؟ إنّه البخل يا حبيبي، ومَرْضاهُ كثيرون يفضّلون المال على أنفسهم، لا بل على ربّهم، فالمال معبودهم الأوّل. والبخل مرضٌ يشوّه العلاقة بين الناس ويسبّب لهم الكثير من المشاكل والمتاعب، فترى البخيل مكروهاً حتى من أقربهم إليه، بينما الكريم، فتجده محبَّباً مقبولاً من الجميع، لأنّ الكرم كما يُقال (يغطّي كلّ عيب).

- شكراً لك يا والدي على هذا الشرح الوافر. لقد طبعتَ هذا المَثَل في ذاكرتي ولن أنساه مدى الحياة!

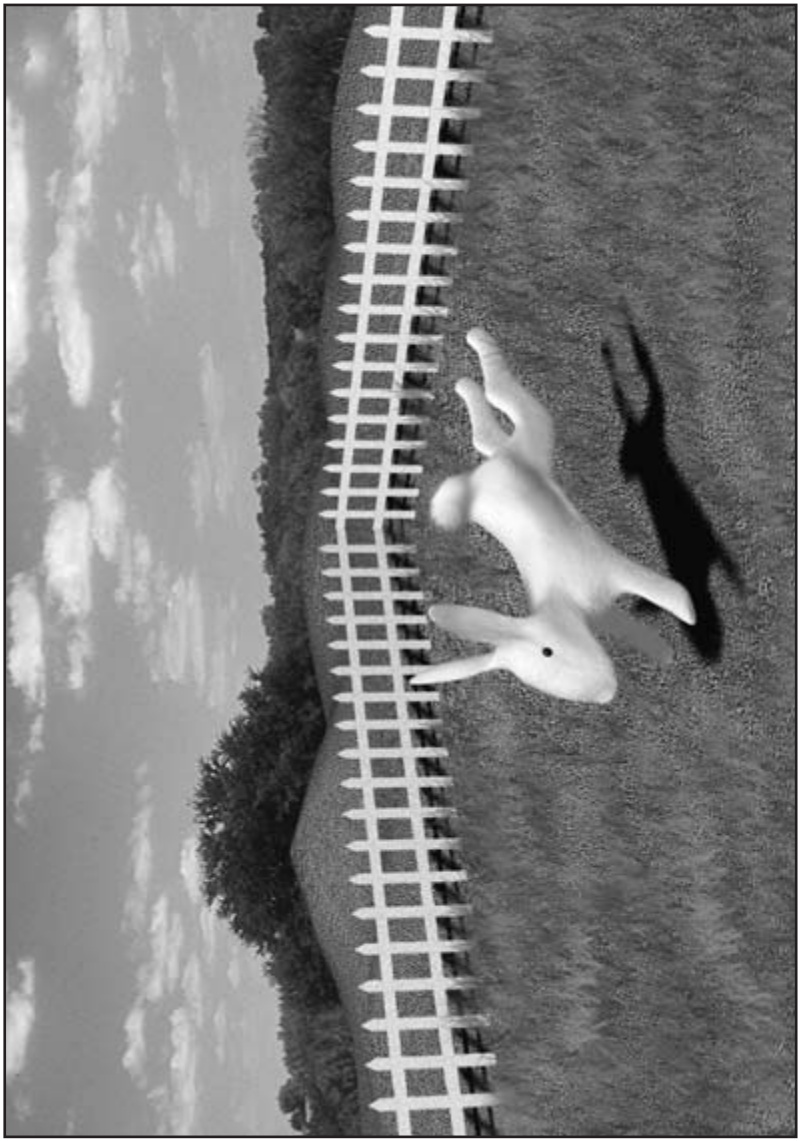

أنْ أعيش حياتي

أَنْ أَعِيشَ حَياتي

- ما هي حكاية اليوم يا أبي؟
- سأخبرك عما فعل الأرنب بنفسه.
- وماذا فعل؟
- ذات يوم سأل الأرنب أمّه قال: هل لي بنزهة استجمام أتعرّف فيها على غنى الطبيعة وجمالها؟ لقد سئمتُ الأسوار العالية، والأماكن الضيّقة.
- ومن أوحى إليك بهذه الأفكار؟
- سمعت السنونو تبشّر بقدوم الربيع، والبلابل والحساسين تتغنّى بعرس الطبيعة، فصرتُ أشتهي عيش الطيور والتنقّل بين الرياحين والزهور، أريد أن أنوّع طعامي وأجدّد شرابي.
- وهل تعلم ما ينتظرك وأنت تحقّق هذه الأحلام؟
- أعلم شيئاً واحداً، أن الأسوار تضايقني وتحدّ من تصرّفاتي.
- سوف يأتي يوم تعرف فيه قيمتها، وحاجتك إليها.
- قلت لكِ، أريد التنزّه، أحبّ الاستجمام، أرغب أن أعيش كما يحلو لي، أي (أن أعيش حياتي)، وأحقّق ذاتي.

- إن كان اللّهو أو التمتّع هو الهدف، فأنت مخطئ، والخسارة ستكون من نصيبك، لأنّ ما تطلبه، هو حريّة أشبه بالفلتان.
- لقد كبرتُ ولي حقّ التّصرّف كما أشاء.
- صحيح أنه يحقّ لك التصرّف كما تشاء، ولكن ضمن قوانين وحدود، لأنك لست وحدك في هذا الوجود.
- إني مصرّ على تحقيق رغباتي.
- أنت هكذا تخاطر بحياتك.
- لا يهمّ.
- ستجد نفسك وحيداً في هذه الحقول، أو ضائعاً في الغابة وسْط المجهول.
- أرجوكِ أُتركيني أذهب، أتوسّل إليكِ، حرّريني من هذه القيود، فالطبيعة تناديني والأحلام تنتظرني فلماذا لا تسهّلي أمري؟
- لن أسمح لك.
- إنها قساوة قلب.
- بل إنها محبّتي لكَ وخوفي عليك.
- سوف أذهب.
- لقد أحزنْتَني، لأنك لم تعد ذلك الابن المطيع، وهذا أكبر دليل على تبدّل في تفكيرك وانحرافٍ في تصرفاتك، وإنك إن عصيت أمري، ستغرق في عالم يهدّد حياتك ويستبيح مقدّساتك.

- لقد قرّرتُ ولن أتراجع في كلامي.
- لا تذهب، أرجوك من أجل قلب أمّكِ، فقد تتعرّض لأذى الأشرار وتنقطع عنك الأخبار.
- وهل اقتنع الأرنب من كلام أمّه يا أبي؟
- كلاّ يا حبيبي، لأنه غافلها وحفر نفقاً تحت الأسوار. ولما أصبح خارجاً، غاب عن الأنظار. شاهدته أمّه، فتسمّرت في مكانها، إلى أن مالت الشمس إلى المغيب، وبقيت تنتظره بعينين دامعتين، وكأنّ قلبها دليلها بأنه سيعود. ومع انسدال الظلام، سمعت أنيناً عرفتْ فيه ولدها، تقدّمت فوجدته مهشّماً، ملطّخاً بالدم، يجرّ نفسه جرّاً.
- وأوّل ما بادر به، أن نظر إلى أمّه نظرة استغفار حمّلها الكثير من المعاني وكأنه يقول لها: سامحيني، لقد آلمتكِ بتصرّفاتي، وربما كنتُ قضيتُ على ذاتي.
- لم تصبر أمّه طويلاً، لأنها أسرعت وحضنته ولاطفته وهي تمسح له جروحه ثم سألته عمّا جرى له.
- لا أريد أن أعود بالذاكرة إلى تلك المغامرة المشؤومة. لقد ظننتُ أنّي سأسعد في الغابة، فإذا بالأخطار تُحدق بي من كلّ جانب. كان لي ضيفٌ من الكلاب والثعالب، من أصحاب البساتين والصيّادين، من الوحوش والثعابين. تذكرّتُ كلامكِ. وبأعجوبة أفلتُّ. ولم أشعر بالأمان إلاّ بعد عودتي إلى وسط الديار، وجودي ضمن هذه الأسوار.

- أبي لماذا غيّر الأرنب نظرته بشأن الأسوار؟

- يا ولدي إنّه الاختبار، الذي كلّفه الكثير، مع أنّه لم يكن ضرورياً، ولو لم يحالفه الحظّ لما كان تمكّن من العودة من رحلته سالماً.

- بعد الكلام عن الأرنب والأسوار، لي سؤال أسأله يا أبي؟

- بكل سرور يا حبيبي، تفضّلْ.

- هل من أسوار تحمي الإنسان في كافّة ميادين هذه الحياة؟

- بالطّبع يا بنيّ. وأسوار الإنسان متنوّعة الأداء ومختلفة الأشكال.

- وكيف يكون ذلك؟

- إن بعض الأسوار تحمي الإنسان من الضواري والوحوش، وبعضها يحميه من اللّصوص. أمّا الأسوار القادرة على حمايته إلى أبعد حدود، هي أسوار غير منظورة يا بُنيّ.

- وهل هذا معقول؟ أسوارٌ غير مرئيّة؟

- لماذا لا؟ أليست تعاليم اللّه ووصاياه هي أسوار أرقى وأعظم من التي للحيوانات واللصوص؟ وقد طبعها اللّه في قلب كل إنسان وفي ضميره لتكون رادعاً له من الدّاخل، فتحميه من الغير، وتحمي الغير منه. عندها لا يَقتُل فلا يُقتَل، ولا يَسرِق فلا يُسرَق. وإن عَملَتِ البشريّةُ بها، عاشتِ الأمانَ والسّلام.

- ألهذه الدرجة هي فعّالة هذه الوصايا؟

- تصوّر يا ولدي مدينة غابت عنها الشّرائع والقوانين، ألا تحلّ فيها شريعة الغاب أي شريعة الحيوان؟
- بكل تأكيد. ولكن قل لي، ماذا بشأن الذين يريدون أن يعيشوا كما يحلو لهم؟
- تقصد الذين يريدون (عيش الفلتان) بعيداً عن كل تعليم ونظام؟
- هؤلاء، سيكونون مصيبة البشريّة جمعاء، سيجرّونها إلى الفوضى والانحطاط، إلى التشرّد والعنف، إلى الشذوذ والفساد. آفات بدأت تتفشّى في مجتمعاتنا وضررها سيطال الأجيال.
- شكراً لكَ يا أحبّ أب على توجيهاتك القيّمة لي، سوف لن أنساها أبداً.

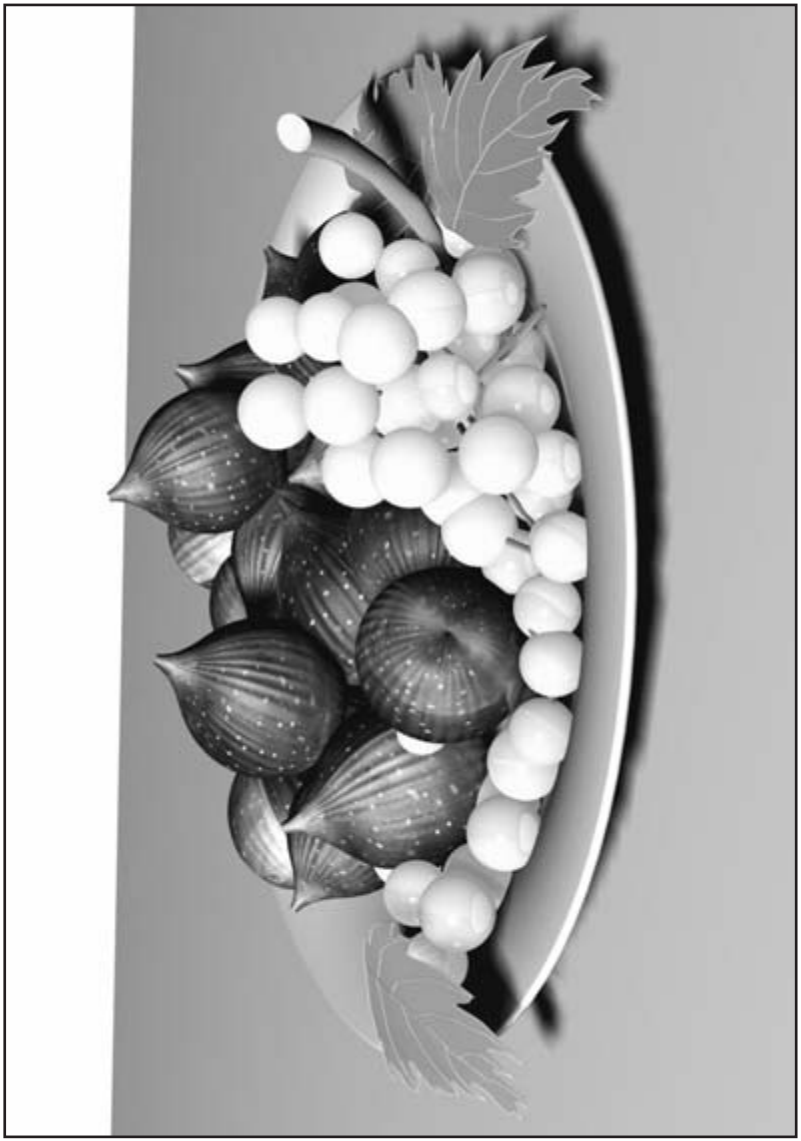

ألتِّين أثمرَ عِنباً

أَلتِّينُ أَثْمَرَ عِنَباً

- أمّي! ألا تحكين لي حكاية؟

- نعم يا ولدي، سوف أكلّمكَ في هذه الحكاية عن حياة من سبقونا وطريقة عيشِهم، لأنه من دواعي الفخر والاعتزاز. هي عادات أهل بلادنا الموروثة عن الأجداد والمنقولة إلى الأحفاد.

عادات إن دلّت على شيء، فهي تدلّ على نمط عيشٍ، سَبَقَنا إليهِ الأقدمون، وعبّروا خلاله عن محبّتهم لبعضهم البعض، محبّةً وكرم نابعين من إيمان راسخ وتعاليم هي أقدس ما يكون.

فهم كانوا يعيشون على البركة، يتبادلون المواسم ويتمتّعون بالخيرات، حتى إنّ الذي لا مُلك عنده، تراه وكأنّه يملك الأرض. وأجمل ما يكون هو أنّ لكلّ واحد نصيب في ممتلكات جاره وقريبه. مواسم الأرض وغلاّتها للجميع، فلا حرمان ولا نُقصان. يأكلون ويشكرون اللّه على نِعَمِهِ وعطاياه.

ذات يوم قالت الأمّ لابنها:

- لقد أفاض اللّه علينا موسم المشمش، وشجراتنا تتكسَّر، فَقُم وخذ

سلّة المشمش هذه وأعطها لبيت الجيران، فهم أناس طيّبون ولا يملكون من هذا الثمر.

- سمعاً وطاعة يا أمّي، سوف أذهب حالاً ولن أتأخّر في العودة. حمل السلّة على كتفه. ولمّا وصل إلى بيت الجيران، طَرق الباب، ففتحتْ له صاحبته، وما إن رأته حتى صاحت:

- أهلاً بك يا حبيبي، أهلاً بك، لقد جلبتَ لنا المشمش. الشكر للّه. أُدخلْ يا ولدي وانتظرني قليلاً.

- أفرغت الجارة سلّة المشمش، وملأتها من الخوخ المتوفّر لديها، ثم حَمَّلته إيّاها وأوصته قائلة: سلّمْ على الجميع، سلّمْ على والدتِكَ.

- رجع الصبيّ مسروراً بالثّمر الذي يُحبُّه وقال لأمّه فَرِحاً: أنظري كم جلبتُ لكِ من الخوخ.

- تطلّعت الأُم إلى السماء وقالت: ما أكرمكَ يا ربّ وما أكثر عطاياك! ثم التفتتْ إلى ولدها وهي تقول: إغسل لنا يا حبيبي صَحْناً لنأكله ونتلذّذ به.

- وبعد التمتّع بفاكهة الجيران، راحت الأمّ تسأل ولدها قائلة: ما هي ملاحظتك حول هذه الأمور؟

- لقد سُررتُ بما جرى بيننا وبين الجيران، لأننا أكلنا وتلذّذنا ونحن شاكرون.

- بل قل إنَّ المشمش تبدّل في الليلة ذاتها، وأصبح خوخاً، أليس كذلك؟

- نعم هذا صحيح.

- وقل أيضاً إنَّه تبدّل دون أيّة صعوبة.

- نعم، نعم وبكل تأكيد.

- وما طال الوقت حتى نَضجَ الدرّاق فقالت الأمّ لولدها: قم وخذ سلّة الدرّاق هذه إلى بيت الجيران. فأخذها الصبيّ، وعاد بها بعد قليل ملأى بالإجّاص اللذيذ.

- أما في المرّة الثالثة، كان الجيران هم السبّاقون حيث أرسلوا لنا التّين الطيّب، فكانت أن عادت سلّتهم ملأى بالعنب الشهيّ.

- راح الصبيّ يردّد: الشكر للّه، لأننا لن نُحرم من باقي الثّمار التي تنقصُنا. لقد أكلنا، وشبعنا وكأنّنا نملك الكثير من أغراس الفاكهة.

- لا تَعْجَب يا بُنيّ، لقد كان بإمكاننا شراء حاجتنا من هذه الثّمار، ولكن طعم فاكهة الجيران الممزوج بالمحبّة والكَرَم، يختلف عن طعم فاكهة الدكّان التي لا تربطنا بصاحبها إلاّ مصلحة بيع وشراء.

- وأنت تعرف جيداً أنّ التّين لا يُثمر عنباً ولا المشمش خوخاً، لكن المحبّة قادرة على كل شيء، لأنها تغيّر الذي لا يتغيّر ومعها يصير كل شيء ممكناً. لقد أثمر التّين عنباً وفي اليوم ذاته، وإن استمرّت المحبة نقيّة وطاهرة، لشاهدتَ ما هو أعجب ممّا حدث اليوم أمامك.

- وما هو الأعجب بنظركِ يا أمّي؟
- إنما الأعجب هو كيف أنَّكَ باللطافة والكرم والمحبة، تُصبح قادراً على أن تحوِّل غيرك، وتبدِّل تصرفاته، وما زال هو هو.
- وكيف يتمّ هذا الأمر؟
- إنها قوّة اللّه الخفيّة التي تغيّر الناس باستمرار. فهم يتغيّرون حسب استعداداتهم متأثّرين بمحبّة الذين يحيطون بهم، وبلطفهم وصلاح سيرتهم.
- وقد تحوّلك المحبة من غاضب وحاقد، إلى هادئ ومسالم، تنعم بالاطمئنان وراحة البال، وشتّان ما بين الحالتين!.
- وبإمكان المحبّة الصادقة أن تقلبَ المقاييس، لتحوِّل الظلم إلى رحمة، والرذيلة إلى فضيلة والجحود إلى إيمان....
- ولها أيضاً أن تطبع اللّه في قلوبنا. ومتى أصبحنا سكنى اللّه لا تعود تصدر أعمالنا إلا بطعم الخير والصلاح.
- شكراً لكِ يا أحبَّ أمّ على هذه القصّة المعبِّرة، لأنّ كلماتها دخلت إلى أعماقي، وغيَّرَتني.
- ردّت الأمّ: حبّذا لو تستمرّ عادات الكرم والعطاء هذه يا حبيبي، عادات تفرّح قلوب الناس وتجمع شملهم فيعيشون متآخين وكأنّهم عائلة واحدة!

لو أنّه لم يصبرْ

لو أنَّه لم يَصْبِر!

- أبي حكاياتكَ تثير اهتمامي، فهل لي بواحدة أتمتّع بسماعها؟
- بكلّ سرور يا حبيبي.
- وما هي حكاية اليوم؟
- حكاية اليوم تقول إنَّه كان في إحدى القرى جاران متحابّان يعيشان بسلام واطمئنان يتبادلان الزيارات والهدايا، ويتساعدان في أمور عديدة ولكلٍّ منهما أمام بيته حديقة مليئة بأنواع الخضار والزهور.
- ذات يوم سمع أحدهما عن أهميّة البيض الطازج وقيمته الغذائية. أعجبته الفكرة وقرّر إنتاج ما تيسّر منه في حديقته. فاستدعى للحال عامل الحدادة ليصنع له قفصاً في زاوية أرضه. وما هي إلاّ أيام حتى امتلأت الحديقة بالدجاج والديوك. وعلا معها القوقأة والصياح.
- وأصواتها ألا تزعجهم وتزعج الجيران؟
- قد يتعوّدون عليها مع الزمن، لكنَّ الأمور تطوّرت إلى أبعد من ذلك.
- وهل حدث ما يُعكِّر الأجواء؟
- بالفعل، ولأنّ الدجاج لا يبيض كما يلزم في الأماكن الضيّقة، فقد عمد صاحبها إلى فتح قفصه، وبهذا أصبحت الخضار والأزهار في

الحديقتين تحت رحمة الدجاج، والدجاج لا يرحم، ولا يوفّر الأخضر ولا اليابس.

- وهل رضيَ هذا الجار، بأن تُتلف مزروعاته؟

- لا لم يقبل.

- كيف تصرّف إذاً؟

- حاول منعها وإبعادها فلم ينجح، لأنه كان كلّما أبعدها من جهة، كانت تعود إليه من الجهة الأخرى.

- لماذا لا يخبر جاره؟

- لقد قرّر مفاتحته بالأمر، لكنَّه كان يتحيّن الفرص، ولما التقاه حيّاه قائلاً: مرحباً أيها الجار.

- ردّ عليه: أهلاً وسهلاً. كيف حالك؟

- يا جار الرضى، لم يبقَ لي حال، لأن طيورك قضت على الحديقة وما فيها.

- لا عليك، سوف أتدبّر الأمور بأسرع ما يكون.

- وهل حُلَّت المشكلة؟

- إنَّ وعد الجار بقي كلاماً بكلام، لقد أنساه مشروعُهُ حديقة جاره.

- وهل يرضى أن يدخل في خلافٍ مع جيرانه، لأجل مضايقات بإمكانه أن يتحاشاها؟

- الظاهر إنه لا يفكّر إلا بنفسه.

- وكيف كانت ردّة فعل الآخر؟
- إليك يا حبيبي ما جرى. لقد عمد الجار المظلوم إلى حيلة خلَّصته من أذى الدجاج، وجنّبته القتال مع جاره.
- وهل الاحتيال مسموح لنا يا أبي؟
- بالطبع إنه غير مسموح، لكن ما فعل صاحبنا، كان مجرّد فكرة ناجحة وغير مؤذية، إننا نسمّيها "**الحكمة**".
- جيّد، هل نفعته حكمته؟
- نعم يا بُنيّ، لقد اشترى لهذه الغاية كميّة من البيض، ووزّعها ليلاً أمام بيته.
- أمر غريب!
- لا تتعجّب يا ولدي، فمتى وصلتَ إلى النهاية ستغيّر رأيك.
- أرجوك أكملْ.
- وفي الغد، وفيما كان صاحب الدجاج ينظر ويتأمّل طيوره، إذا به يشاهد جاره، وهو يجمع البيض في سلّة صغيرة ليعود ويدخل بيته بكل بساطة دون أن يعير الأمر اهتماماً.
- ألم يطالبه بما جمعه من البيض؟
- لقد تمالك أعصابه يومها، لكنّه عاد واستدعى الحدّاد مجدّداً ليصنع هذه المرّة قفصاً كبيراً يضبط فيه دجاجاته.
- وماذا حدث بعدها؟

- لقد عاد الوئام بينهما ولكن ليس كالواجب. لأنَّ الفتور كان سيّد الموقف، إلى أن بادر صاحب الدجاج إلى الاعتذار عمّا فعل؛ عندها أخبره جاره، كيف اختلق قصّة البيض المصطنعة. فضحكا طويلاً، ثم تعاهدا على الاتّفاق والتعاون، وهكذا عادت الأجواء إلى سابق عهدها.
- كم لهذا الاعتذار من الفضل في جمع شمل الجارين؟
- بل قلْ كم وفّرت هذه **الحكمة** من خلافات ومشاكل بينهما، وقل أيضاً كم كان لهذه الخطّة من وقع في نفس الجار المخطئ.
- لقد سررتُ بعودة الوفاق إلى الجارين.
- طبعاً يا بُنيّ، لأنّ اتّفاق الجيران عامل مهمّ في استقرارهم وسعادتهم. وقد قيل في هذا الشأن: "الجار قبل الدار" - "والجار القريب أفضل من الأخ البعيد".
- أما كان على صاحب الدجاج أن يحترم مشاعر جاره؟
- إنّ ما تريد معرفته، تختصره لك الكتب السماوية، بهذا القول: "**إعملْ للغير ما تريد أن يعمله الغير لك**".
- شكراً لكَ يا أحبَّ أب. أعدكَ أن أكون جاراً ناجحاً بإذن اللّه، وسوف لن أعمل عملاً لغيري لن أرضاه لنفسي.

قد تضيعُ الفُرص

قد تَضيعُ الفُرَصْ

بعد صيف اشتدَّ حَرُّه، وطال جفافه، راحت الغيوم السوداء حاملة الماء، تمرّ تباعاً، والأرض العطشى تنظرُ إليها بشوقٍ وحنين، تَرمُقُها بعينينِ ذابلتين، والآمال تُبشِّر بقرب انتهاء المِحن.

- سألتِ الأرض إحداها قائلةً: هلا تكرّمتِ عليَّ أيّتها الغمامة ببعض المطر؟

- أجابتِ الغيمة: أنا لستُ سوى خادمة، أقامني سيّدي لسقاية الأرض ولإرواء عطش الناس، فلا يُمكنني أن أفعل شيئاً من تلقاء ذاتي.

- تساءلت الأرض: هل يجوز أن يمرّ السحابُ من فوقي، أرى ظلّه، أفرح بقدومه، أحاول أن أستقي فلا أستطيع؟

- كنتُ فعلتُ، لكنّ الأمر ليس بيدي.

- وما ذنب الشجيرات التي احتضنتها، والأزاهير التي رعيتها؟ إنها تحتضر أمامي، وهي على وشك أن تُفارق الحياة، وليس باستطاعتي أن أعمل أيّ شيء لها.

- لا تيأسي أيتها الأرض الطيّبة، سيأتي اليوم الذي سأسكب لكِ فيه الأمطار بغزارة فتروين عطشكِ.

- ربّما يكون ذاك بعد فوات الأوان؟
- لا فوات للأوان مع مدبّر الأكوان.
- الرجاء ساعديني.
- السماح لا يكون إلاّ منَ الذي نظّم الأمور، وحدّد الأمطار في فصول وشهور، هو الكلّ بالكلّ، وعطاؤه يشمل الكلّ.
- أعيني لهيبي أيتها الغمامة، رحماكِ.
- يا أرض الخير لا تكوني لجوجة، ولا اتكاليّة. ومع ذلك لي عليكِ عتب صغير. لأنه كان من المفترض أن تكوني قد أخذتِ العِبَر مما سبق.
- أية عِبَر؟
- ألم تكن تصلك حصّتك من المطر بانتظام؟
- نعم لقد كانت تصلني.
- كان عليكِ إذاً الاستفادة من هذه النعم والعطايا.
- هذا صحيح، فإني أُقرُّ بخطأي ومدى تقصيري، وأستميح مانح العطايا عُذراً، وأعده أن أُجهد تفكيري وأخزّن حاجتي، فترتوي شجراتي وتنمو خُضاري، ولا لزوم بعدها للشكوى والتذمّر.
- قرار سليم يدلّ على النضج.
- نعم لقد ضاعت منّي الفُرص، وكان عليَّ أن آخذ حذري وأتدبّر أمري، فلا أشعر بالحاجة ولا أختبر الحرمان.

- جيّد الاعتماد على النفس، وهو أمر ضروري، فإنه يحفظ الكرامات ويقلّل من ربح "المنيّات".
- هذا ما أريده. لقد صرفتُ النظر حالياً عن طلب الماء، لأقول لك أكملي طريقك، لأن غيري ينتظر وانتظاره يجب ألاّ يطول. ولا أريد أن أكون للآخرين سبب عثار وتأخير.
- تعجبني صراحتكِ ويهمّني تواضعك أيَّتها الأرض المعطاء.
- كيف عرفت أني متواضعة؟
- المسألة في غاية البساطة. إنكِ لو كنتِ من المتكبّرين، لما استطعتِ سماع نصائحي، ولا تمكّنتِ من تقديم الاعتذار.
- أهكذا يفعل المتكبّرون؟
- وأكثر! إنهم لا يطيقون ملاحظات الآخرين، ولا حتى أن يقال عنهم مخطئين.
- وما علاقة المطر بكبرياء البشر؟
- إنّ الأمر عندهم تعدّى الكبرياء ليصل إلى قلّة التدبير وقصر النظر.
- ما هو الدليل على ذلك؟
- يا أختي الأرض، أليس الأطفال الذين يُرزقون بهم، هم أعظم عطايا اللّه لهم؟
- نعم، صحيح ما تقولين.
- فلماذا العديد من هؤلاء الأولاد يُهملون؟

- شيء مؤسف حقاً؟
- أليس العمر المعطى لهم هو لخلاص نفوسهم؟ فلماذا يقضونه وراء شهواتهم وملذّاتهم، وبغير ذلك لا يفكّرون؟
- غريب أمرهم!
- وأيضاً، أليست الصحّة التي يتمتّعون بها هي كنز مُهدى إليهم، فلماذا يستنزفونها في السهر واللهو والمجون؟
- تحيّرني تصرّفاتهم!
- ولكن ما السبيل لجعلهم يستقيمون؟
- يلزم الكثير من التدريب والعمل لاستئصال الإهمال والجهل من حياتهم، كي يسلكوا السلوك المقبول، ويعيشوا حسب الأصول.
- شكراً لكِ أيتها الغيمة المباركة، لقد وازَتْ نصيحتكِ لي حاجتي للمطر، وأعدكِ من الآن وصاعداً أنّني سوف لن أفرّط بعطايا اللّه، ولن أضيّع فرص الاستفادة منها... وداعاً.

نِعْمَ الدروس

نِعْمَ الدُّروسْ

حُكِيَ أنَّ رجلاً غنياً، لما كَبُرَ ابنُهُ وصارَ شابّاً، راحَ يجمع الأصحاب والرِّفاق، يقضي فراغه معهم بالفرح والمرح، وتطيب الأيّام وتحلو معها الأوقات، يطلب فينال، لأنَّ المال موفورٌ ما دام الوالد في هذه الحياة.

كان الابن يتباهى فخوراً أمامَ والده بجمهور أصدقائه، حتّى وصل به الأمر ليسأله قائلاً: لماذا يا والدي أصحابك قليلون، بينما أصحابي لا يُحْصَون؟

- لأنَّه يا بُنيَّ يكفي أن يكون لكَ صديقٌ واحد، مُخلص وأمين، من أن يَكْثُرَ عددهم ولا يكونوا نافعين.
- هذا يعني أنَّ رفاقي غير مُخلصين؟
- لم أقصد هذا، لكنَّ الأيّام علّمتني أنَّ الصديق الصَدُوق، والذي يقف بجانب صديقه حتى في أيّام الضّيق، لا تجده إلا عَبْرَ السنين.
- صفاتُ أصحابي حميدة، ولا أشكُّ بنزاهتهم وتفانيهم أبداً.
- تفكيرك هذا يزيدني سُروراً يا حبيبي، لأنَّكَ تُحافظُ على أصدقائكَ، لكنّي أتمنّى لو تَتَأنّى في اختيارهم، وألاَّ تبوح بأسرارك ومشاعرك إلاَّ للّذين عرفتهم واختبرتهم.

- ولماذا يا أبي؟

- ستكتشف فيما بعد أنّ الّذين تفتخر بهم الآن ليسوا جميعهم أهلاً لأن يُدعوا أصدقاء.

- ولكن كيف تريدهم أن يكونوا؟

- الصديق يا ولدي هو من صدقَكَ، هو مَنْ كان مخلصاً وفيّاً معكَ، يحفظ العهد ولا يخون. صفاتٌ يجب أن تنطبق على الفريقين معاً، لأنك إنْ كنت أيضاً غير أهل للصّداقة، سوف لن تجد لكَ الأصدقاء الأوفياء.

- أبي كيف تعرّفتَ على أصدقائك؟

- لقد صاحبتُ الكثيرين، ولي علاقات مع العديدين، لكنّي لم أستخلصْ سوى صديق واحد أحسبه كنفسي وأعتبره ملجأي في كلّ المناسبات.

- يعني أنّك لا تحبّ كثرتهم؟

- أريد أن أقول لك: إنَّ التروّي في اختيارهم فيه بعض الحكمة والفضيلة.

- بالنسبة إليّ، فإني راضٍ عن كثرتهم، وعلاقتي بهم ممتازة.

هنا، أَوقفَ الأبُ الحوار مع ابنه لأنّ الكلام وحده لا يفيد، وقرّر أن ينتقل معه إلى طريقة عمليّة تمكّنه مِنَ التأكّد أنَّ النّوعيَّة أفضل من الكميّة، وأنَّ

الفرق شاسع بين الصداقة الحقيقية والصداقة العابرة. وبعد تفكير قليل عاد ليقول: يا بُنيَّ، لي عندك طلب، حبَّذا لو تقوم به.

- بكل سرور يا والدي، ها أنا على أتمّ استعداد، فماذا تريد؟

- سأكلّفكَ بمهمّة صعبة، لكنّها ستساعدكَ لاحقاً في اختيار أصدقائكَ، وستزيدكَ معرفة في هذا المجال، لأنّه ليس كلّ مَنْ ابتسم لكَ ومازَحَكَ أو جالَسَكَ، أصبحَ صديقَك.

- ألا شرحتَ لي تفاصيل هذه المهمّة؟

- وضع الأبُ يده على كتِفِ ابنه وقال: سأطلُب من جارنا اللّحّام، كي يذبح لنا خروفاً، يسلخه ويلفّه بالقماش، ثم يضعه في كيس نظيف، وعندما يجهز ستحمله وتذهب به ليلاً، إلى بيوت أصدقائك، وتسأل كلاًّ منهم قائلاً: "هل لي أن أترك هذا الكيس عندك لبعض الوقت، كي أذهب وأتدبّر أموري ثم أعود وآخذه"؟

- وإذا سألني أحدهم عما في داخله ماذا أقول؟

- قل له: سأخبرك لاحقاً لأني مستعجلٌ ومشغول.

- إنطلق الابن حاملاً خروفه على كتفه، قاصداً بيوت أصحابه، طارقاً أبوابهم، طالباً منهم المعونة. لكنَّ عدم قدرته عن الإفصاح عمّا في كيسه تركت الباب مفتوحاً أمام الظنون والشكوك.

فكَّرَ الأوّل أنّ في الأمر جريمة فرفض استقباله. وحَسِبَ الثاني: أنّ في الكيس بعض المسروقات، فاعتذر عن إدخاله. أما الثالث فظنَّ أنَّه ينقل

بعض الممنوعات فتخلّص منه. تكرَّرَ الرفضُ وتوالت الصدمات فخاب ظنّه، لأنّهم تخلّصوا منه الواحد تلوَ الآخر وبأعذار واهية. وهكذا طال تنقلّه وزاد تعبه. ومن ثِقل الحمولة، تسمّر في مكانه متسائلاً: أين الصداقة، أين الأصدقاء؟

قرَّر الرجوع إلى بيته، فوصله مُحبطاً، وألقى بالكيس جانباً، ثم ارتمى على مقعدٍ قريب وهو يُردِّد قائلاً: بئسَ المهمّاتُ وبئس الأصحاب.

- لكنَّه سمع صوتاً من والده يقول: عندك بعد، مهمّة أخيرة.
- أرجوك، لا أريد مهمّات جديدة، ولا التفتيش عن خُبُرات أكيدة.
- أعدك أنّها لن تكون صعبة هذه المرّة.
- لأجلك سأفعل ولكن إلى أين تريدني أن أذهب؟
- سوف تقصد بيت صديقِ والدك يا حبيبي.
- سمعاً وطاعةً يا أبي. ثم حمل كيسه مجدّداً ومضى، فوصل مع طلوع الفجر. طرق الباب، ففتح له صاحب والده ملهوفاً وقال: ما الذي أتى بك في هذا الوقت؟ وما الذي تحمله يا بنيّ؟
- يا عمّاه، سأخبرك فيما بعد، الأمر ليس بهذه الخطورة، أرجوك، إسمحْ لي، فإني مضطّر إلى الذهاب فوراً، وعليَّ أن أترك هذا الكيس عندكَ لبعض الوقت.
- عساه خيراً يا ولدي، أُتركهْ قدر ما تشاء، لكن سلِّمْ على والدك وبلّغه تحيّاتي وأشواقي، وأخبره أني بانتظاره.

- رجع الصبيّ مع الصباح ليخبر والده بنجاح الخطّة.
- ضحك الأبُ ضحكة اطمئنان وهو يردِّد: "قل لوالدتك أنّنا سنقضي النهار عند صاحبنا. إجمعوا الأغراض، ولا يكن في الأمر تأخير".

كانت الأمّ بالاتفاق مع زوجها، قد حضَّرت كلّ ما يلزم لإقامة وليمة فاخرة على شرف أحسن صديق، وبمناسبة اكتشاف ولدها أصول اختيار الأصدقاء.

- وصل الأب وزوجته وابنهما إلى بيت العائلة الصديقة، فكان اللقاء مميّزاً. وما إن سلّم الأصحاب على بعضهما البعض، حتى كشفت ابتسامة صاحب فكرة الخروف المذبوح، حقيقة ما خفي على صديقه من الأمور، فاطمأنَّ هذا من ناحية الابن، وزالت شكوكه بشأن الكيس. ولما وضح كلّ شيء، تعالت الضحكات، وارتسم الفرح على الوجوه، وانصرفت النساء لتحضير الطعام، فكانت مائدة غنيّة وفاخرة، ارتفع معها دخان اللَّحم المشويّ، فأكلوا وتلذّذوا جميعاً.
- علَّق الصّديق المضيف عليها بقوله: حبّذا لو تتكرّر هذه الدروس الشهيّة، لأنّ درس اليوم، كان عامراً بما لذّ وطاب.

في هذه الأثناء كان الابن يفكّر متمنّياً لو أنَّ له صديقاً أميناً ومُخلِصاً مثل صديق والده!

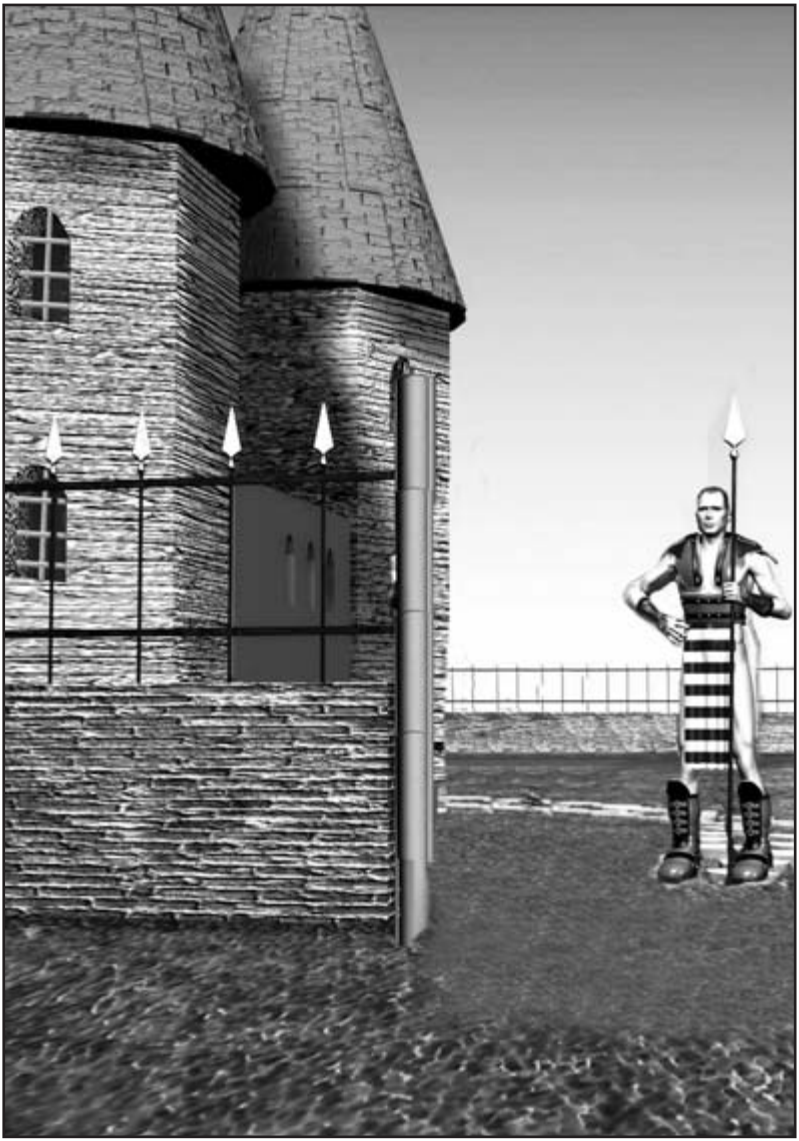

ألطَّمعْ ضرّ ما نفعْ

ألطَّمع ضرّ ما نفع

حُكي أنّ لملكٍ ابناً كان يلعب في حديقة القصر، فوقع في البئرِ المحفورة في زاويتها.

شاهده أحد الحرّاس، فارتمى وراءه مسرعاً، وتمكّن من انتشاله سالماً.

فرح الملكُ فرحاً عظيماً وأراد أن يكافئ حارسه على تفانيه في سبيل إنقاذ ابنه.

عمل له مأدبة فاخرة، دعا إليها كبار المسؤولين في القصر وجميع أفراد الحاشية.

وفي اليوم التالي، أصعده جبلاً عالياً وقال له: أيها الجنديّ، إني أعلن أمام هذا الجمهور بأني سأكافئك على ما صنعت، فانظرْ إلى هذه السهول والتلال الخضراء. تطلّعْ إلى تلك الوديان والسفوح المنحدرة. إنها أراضٍ خصبة للغاية، غنيّة بينابيعها وأشجارها المثمرة.

والآن يمكنك امتلاك قدر ما تشاء منها، وكلّ ما تدور حوله من هذه الأرض وتحدّده يكون ملكاً لك، شرط أن تعود إلى هنا قبل غياب الشمس.

هذه هديّتي لك، لأنك خلّصت ولدي من الموت. فانطلقْ ولا تُضعِ الوقت. الساعة الآن حوالي العاشرة صباحاً. أتمنى لك التوفيق.

نظر الجنديّ نظرة حنان إلى مملكته الجديدة. إنها فرصة العمر. عليه أن يضمّ إليها المزيد والمزيد، ستتغيّر حياته وسيصبح أميراً صغيراً.

ومن دون تردّد، انطلق مسرعاً لا يلوي على شيء. لم يكن يتوقف إلا ليحدّد مسار طريقه أو ليظهر حدود أرضه.

في طريقه، مرّ بالأشجار المثمرة، والفواكه الشهيّة، والمياه العذبة الرقراقة، لكنه لم يشأ أنْ يذوق ولا أن يشرب رغم عطشه، لأنّ في الأمر ضياعاً للوقت، أي خسارة في مساحة الأرض.

آنَسَتْهُ مناظر السهول والوديان بجمالها، فراح يدور حولها ويضمّها إلى حصّته متمنياً لو ضمّ المملكة بأسرها.

لكنّ هذه العمليّة أنْسَتْهُ الوقت. فالشمس أخذت تميل إلى المغيب، والقمّة بَعُدَتْ حيث الملك في انتظاره.

فكّر في الأمر فطار صوابه. كل شيء بدأ يعاكسه. فالطريق أصبحت صعوداً، والوقت صار ضيّقاً، والجبل ما زال بعيداً.

قرّر اختصار الطريق، والتخلّي عن ضمّ الأراضي، حتى ولو شبرٍ واحدٍ. المهمّ أن يصل إلى نقطة الانطلاق.

حاول أن يُسرع لكنّ التّعب كان قد أنهكه. شدّ عزيمته. نسي ما حوله.

عبثاً حاول إجهاد نفسه، لكن دون جدوى. فكان يتعثّر حيناً ويقع حيناً آخر.

تضاعف خفقان قلبه، مرّة من التعب ومرّة من الخوف. وأخيراً اقترب من القمّة. شاهد الملك من بعيد. تأمّلَ خيراً. لكنّ الشمس كانت قد سبقته وغابت، فغابت آماله ومملكته معها.

عندها توقّف الجنديّ. تسمّر في مكانه. ضرب رأسه بيده. عضّ شفته فأدماها. إرتمى على الأرض وفي عينيه دموع الأسى والأسف.

لقد ضاعت الفرصة وضاع معها كل شيء. وفي محاسبة ذاتية، راح يردّد في نفسه، لقد كان عليّ أن أقتنع، أن أرضى بالمعقول، أنا المحقّ، أنا المذنب.

أخيراً، استدعاه الملك. ولما وقف أمامه، قال له موبّخاً: لقد صدق فيك المثل القائل: "ألطَّمع ضرّ ما نفع". واليوم بعد أن خسرتَ فرصتك الذهبية في امتلاك الأرض التي عرضتُها عليك، آمل ألاّ يدعوك طمعك فيما بعد، لخسارة ما هو أعظم، أي لخسارة المُلْك السماوي، يوم تقف أمام الله للحساب يوم الدِّين حيث الكتاب المقدّس يقول:

"إعلموا جيّداً أنه ليس للزاني ولا للنجس ولا للطمّاع ميراث في ملكوت الله".

Rev. Mounir Hakmeh

www.kobayat.org
Electronic Version
Published online by: Elie Abboud
Email: elie@kobayat.org